مكتبة
أبو العباس محمد
بن عجيب

سلسة شروح العقيدة

شرح كشف الشبهات

للشيخ المجدد/ محمد بن عبد الوهاب

شرحها الشيخ :

أبو عكرمة وليد بن فضل المولى الخالدي

صدى السلفية
للطباعة و النشر

قَالَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ : [إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ] [مقدمة صحيح مسلم]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة قبل الشروع في الشرح

إسم الكتاب :

من جهة الإعراب :

كشف : خبر لمبتدأ محذوف تقديرهـ هذا, مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة علي آخره .

الشبهات : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة علي آخره .

من جهة المعني : مصدر (كشف ، يكشف ، كشفاً) ومدار هذه الكلمة علي الرفع والإبانة والإيضاح .

إصطلاحاً : إختلف العلماء في ألفاظ ما قالوه إلا أن معاني ما ذكروه متفق :

فمنهم من قال : كشف الأمر يكشفه كشفاً يعني يظهره .

ومنهم من قال : الكشف رفعك عن الشئ مايواريه ويغطيه .

ومنهم من قال : الكشف رفعك الشئ عن ما يواريه ويغطيه .

كلها معناها يحصل بها : الظهور والإيضاح والبيان .

الشبهات لغة : جمع شبهة , والشبهة مأخوذة من الإشتباه وهو الإلتباس , ويقول : شبه الأمر يعني لُبس عليه أوخُلق .

إصطلاحاً : هي الشئ يرد علي القلب يحول بينه وبين معرفة الحق [1] .

سببها : إشكال أو لبس يقع في لفظ أوفي معني أو في الذوات إن البقر تشابه علينا .

كشف الشبهة : يعني أن نرفع ونزيل إلتباسبها بالحق , وذلك ببيان وجوب بطلانها ومخالفتها للحق .

كشف الشبهات هذا منهج قرآني ولايأتونك بمثل (1) إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا , المثل المراد به الشبهة , وسميت الشبهة بالمثل لسرعة إنتشارها , فإنها تجري في الناس كما يجري المثل .

 بالحق الذي يُبين لك وجه بطلان هذه الشبهة ويظهر لك أنها مخالفة للحق . والشبهة سميت شبهة لأنها تشتبه بالحق , فالباطل لايشتبه علي الناس , فالباطل المحض لايشتبه علي الناس , فإذا خُلط بشئ من الحق حصلت الشبهة وحصل الإشتباه , قال تعالي : شياطين الجن والأنس يوحي بعضهم إلي بعض زخرف القول غروراً , يعني لوكان باطلاً محضاً لما إنطلى علي الناس لكن عندما إختلط بالحق إنطلي عليهم. ليس الحق بالباطل هو الشبهات , وهذا ديدن المبطلين من أهل الكتاب من أهل الكتاب , وكل من شابههم قال تعالي عن أهل الكتاب :

---

[1] (1) **قال ابن القيم - رحمه الله -** : (... **والشبهة وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له فمتى باشر القلب حقيقة العلم لم تؤثر تلك الشبهة فيه بل يقوى علمه ويقينه بردها ومعرفة بطلانها ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشك بأول وهلة فان تداركها والا تتابعت على قلبه امثالها حتى يصير شاكا مرتابا** ...).[مفتاح دالر السعادة (1/140) ط . دار الكتب العلمية] .

ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون . وقال عنهم : ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتوا الحق وانتم تعلمون .

وهم أسوه من يشبه هذه الشبهات في أمة محمد , قال ابن تيميه - رحمه الله - في اقتضاء الصراط المستقيم عن قوله تعالي : فأستمتعوا بخلاقهم فأستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا . قال : (فقوله سبحانه : فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ إشارة إلى اتباع الشهوات ، وهو داء العصاة ، وقوله : وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا إشارة إلى اتباع الشبهات ، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات) ا.هـ كلامه .

الذين يبعثون في الأمة الشبهات هؤلاء يسيرون علي طريق أهل الكتاب ويكفي هذا علي بطلان منهجهم , وما من خصلة فيهم إلا هي في هذه الإمة قال : (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، قَالَ : فَمَنْ) **[متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري]** .

قوله : (حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ) : فيه بيان لشدة الإتباع .

هذا الكتاب مقدمة وموضوع وخاتمة

* أما المقدمة ففيها أمور :

الأول : بيان التوحيد وأنه أساس دين ودعوة الرسل من أولهم إلي آخرهم , وبيان وقت بعثة الرسل , وبيان الدين الذي كان عليه المشركون من جهة الإعتقاد والعمل .

الثاني : بين التوحيد الذي أقرءا به المشركون , وبيان التوحيد الذي أنكروهـ , وبيان الشرك الذي جاء الأنبياء لل..... , وبيان السبب الموجب لاستحلال النبي صلي الله عليه وسلم لدمائهم.

الثالث : بيان أن توحيد الألوهية هو معني [لا إله إلا الله] , وبيان أن الكفار الأولين يعلمون معني

[لا إله إلا الله] .

الرابع : معركة التوحيد والشرك تفيد المسلم الفرح والخوف .

الخامس :بيان عداوة أهل الشرك لأهل التوحيد بجميع الوسائل ومن ذلك بث الشبهات , وبيان أن الواجب علي الموحد التسلح بالكتاب والسنة لدحض شبهات الأعداء . (1)

*** موضوعه"2":**

كشف الشبهات ؛ يعنى إزلة الإعتراضات والتى تتعلق بتوحيد الألوهية , فالشيخ أتى بأجوبة محكمة , وهذه الشبهات كانت في زمن الشيخ رحمه الله ــ وهي ماتزال اليوم فإن شبهة المبطلين واحدهـ , وكلام أعداء الرسل واحد قال تعالى : (ما يقال لك إلا ماقد قيل ..... الأية)

والشيخ أورد أربعة عشر شبهة , ورد عليها بردود بديعة ومحكمة ظهر بها الحق وأهله والباطل وأهله .

*** الخاتمة :**

جعلها في بيان وجوب التوحيد ووجوب العمل به , وأن التوحيد يكون بالقلب واللسان والعمل , وأن يوالى المسلم ويعادى عليه ولا يرضى به عوضاً ولا بدلاً وأن لا يتنازل عنه , وأن لا يترك شئ منه إلا مكرهاً"3".

"2" موضوعه:هو الجواب علي أربعة عشر شبهة فى توحيد العبادة,وقد أورد الشيخ هذه الشبهات وردها وفندها وأجاب عنها بأجوبة محكمة وبديعة إجمالية وتفصلية فأزال بما أورده اللبس وأبان وأظهر الحق.

"3" نخلص إلي أن مسائل هذا الكتاب ومضامنه ترجع إلي أمرين: 1- تقرير توحيد العبادة ونفى ضده وهو الشرك ــ فى المقدمة ــ 2- حكاية شبهات في توحيد العبادة وردها وتفنيدها ــ فى الموضوع.

قال الشيخ رحمه الله : (بسم الله الرحمن الرحيم) الكلام على البسملة فى متن آخر ـ إن شاء الله ـ , أما تعليل البراءة بالبسملة مضى الكلام عليه .

قال الشيخ رحمه الله :(اعلم رحمك الله أن التوحيد هو : إفراد الله سبحانه بالعبادة , وهو دين الرسل الذى أرسلهم الله به إلى عبادهـ) .

{ اعلم ـ رحمك الله ـــ بالعبادة } مضى .

وهذه المسألة هى التى يريد الشيخ منك أن تتعلمها وأن تجعلها فى ذاكرتك , هذه المسألة أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة . مرادهـ الرد على الذين فسروا التوحيد بالربوبية وظنوا أن هذا هو الغاية من بعثة الرسل , فالشيخ يقول رداً عليهم : التوحيد هو إفراد الله بالعبادة , كأنه يقول لك : ليس هو كما توهمه الكثير من الناس بل التوحيد الذى بعث الله لأجله الرسل هو توحيد الألوهية .

قوله رحمه الله : (وهو دين الرسل الذى أرسله الله إلى عبادهـ) .

فالشيخ يعرف لك التوحيد الذي بعث الرسل لتقريره وبيانه وهو توحيد الألوهية . والدليل على هذا قوله تعالى : **ولقد** بعثنا فى كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، ما قال : (ولقد بعثنا فى كل أمةٍ رسولأ أن يقول للناس أن الله هو الخالق الرازق المبدبر) بل بعثهم بتوحيد العبادة .

وقال تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسولاً ، ما قال : (نوحى إليه أنى أنا الخالق والرازق والمدبر) وطالبهم بأن يقروا بهذا .

الرسل ما بعثوا لتقرير توحيد الربوبية لأن هذا موجود , وستأتيك الأدلة على أن هذا موجود ومن فطرة الناس , أنت تأتى بالأدلة العامة ثم بعد ذلك بالأدلة الخاصة , فمن الأدلة الخاصة , قال تعالى :(

وقوله : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرهـ ﴾ ، وقال : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرهـ ﴾.

وكذلك دل عليه قوله ﷺ : (الأنبياء إخوة لعلات) [2], العلات هي الضرائر.

أصل دينهم واحد وشرائعهم مختلفة كرجل تزوج بعدد من النساء , فالرجل كالدين , والنساء الكُثر الشرائع , فالأنبياء أباهم واحد وأمها تهم مختلفة , قال تعالى : (ولكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) , أصل دينهم التوحيد والشرائع والأحكام تختلف من نبى إلى نبى , فمن الأمور ما كان حلالاً عند من سبقنا وكان حراماً علينا , ومنها ما كان حراماً عليهم وكان علينا حلالاً .ووالمراد بدين الرسل واحد أي أصل دينهم واحد.

المقدمة

قوله رحمه الله : (فأولهم نوح) : الدليل علي أن أولهم نوح قوله تعالى : (وأتل عليهم نبأ نوح إذ قال يا قوم ... ثمبعثنامنبعدهـرسلاًإلىقومهم) , (ثم) : تفيدالترتيب . وقوله

(إناأوحينااليككماأوحينااإلىنوحٍوالنبيينمنبعدهـ). وكذلك حديث الشفاعة قال فيه النبى ﷺ :

[فيأتونوحاًفيقولون : يانوحأنتأولالرسلإلىأهلالأرضوسماكاللهعبداًشكوراً ,

إشفعلناإلىربكألاتربإلىمانحنفيهألاتربإلىماقدبلغنافيقولنوح :

إنربيقدغضبغضباًلميغضبقبلهمثلهولنيغضببعدهـمثله .... فيصحيح ..... منحديثأبىهريرة .

قوله ــ رحمه الله : (لمّا غلوا فى الصالحين) .

فيه بيان وقت بعثة الرسل , فالرسل تبعث إذا حدث الخلل فى توحيد الألوهية . بين آدم ونوح عليهما السلام ـ عشرة قرون كلهم على التوحيد, فلما غلا قوم نوح فى الصالحين أرسل الله نوح لمعالجة الخلل .

& **نرجع إلى تفصيل المقدمة : ـ**

الشيخ ـ رحمه الله ـ استهل هذا الكتاب بالدعاء ءلطالب العلم . قال رحمه الله : اعلم (1) : ما الأمر الذى يريد منا الشيخ نتعلمه ؟

الأمر هو : (أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة)(2) , الشيخ جرد التوحيد لتوحيد العبادة , لماذا ,؟ , هذا الكلام يوجه بتوجيهين : ـ

1/ هذا تعريف للشئ ببعض أفرادهـ ؛ وهو مسلك معلوم عند أهل العلم كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه فى " مقدمة التفسير" ومثال هذا : كتعريف الطاغوت , بعضهم يقول : الكهان , والكها ن يدخلون فى الطواغيت . وبعضهم يقول : الطاغوت السحرة . وبعضهم يقول الطاغوت من عبد وهو راض , وهكذا . وهذا كله تفسير للشئ ببعض أنواعه .

---

[2]() أخرجه أبو داود (2 / 214) و ابن حبان في " صحيحه " (6775 و 6782 - الإحسان) و أحمد (2 / 406) .

2/ نقول المصنف أراد بالتوحيد توحيد العبادة ؛ لأن { أل } فى كلمة التوحيد للعهد الذهنى , يعنى التوحيد المقدوح فى الأذهان , التوحيد الذى بُعِثَ الرسل لقريرهـ وتحقيقه , التوحيد الذى خلق الله الخلق لأجله , أو التوحيد الذى حصل فيه الإخلال , أو التوحيد الذى حصل فيه الخلاف بين الرسل وأممهم وهو توحيد الألوهية . والشيخ هنا عرف التوحيد بأهم أنواعه . وتوحيد العبادة هو الغاية وهو المقصد . وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فهو من أدلة تقرير توحيد العبادة ولوازمــه .

معنى قولنا : " من أدلة تقرير توحيد العبادة " لأن الله احتج على المشركين بما أقروا به على ماجحدوه وأنكروه ، وقولنا : " لوازمـه " أى أن الإنسان إذا أقر بتوحيد الربوبية لزمـه أن يأتى بتوحيد العبادة .

والشيخ لما أتى بهذا مراده الرد على الذين فسروا التوحيدد بتوحيد الربوبية , وظنوا أن توحيد الربوبية هو الغاية والمقصد وأنه هو المطلوب من الخلق وأنه الغاية من بعثة الرسل وأن من جاء به وحققه فقد جاء بالمطلوب وحقق المقصد , فالشيخ بين بهذا غلط هؤلاء وبين أن التوحيد المراد من الخلق والذى بعث الرسل لأجله هو توحيد الألوهية .

*** هل لفظة التوحيد لفظة شرعية أم لفظة مبتدعة ؟ ,,,,,,,,,,,,,,,, :ـ لفظة شرعـية .**

*** ما الدليل عليها ؟**

(1) حديث ابن عباس قال : لما بعث رسول الله معاذاً إلى اليمن قال له : [إنك تأتى قوماً أهل كتاب فليكن أول ماتدعوهم إليه إلى أن يوحدو الله].

(2)حديث صفة حجة النبى من حديث جابر فى صحيح الإمام مسلم قال : [فأ هل بالتوحيد , لبيك اللهم لبيك , لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك] .

(3) حديث جابر فى "سنن الترمذى" أن النبى قال : [يعذب ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا فيها حمماً ثم تدركهم الرحمة فيخرجون .....] الحديث ,,,,, حمماً :ـ أى فحماً .

(4) وكذلك الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد فى " المسند" : أن العاص ابن وائل نذر فى الجاهلية أن ينحر مئة بدنة , وأن هشام بن العاص نحر حصته وأن عمراً سأل النبى عن ذلك فقال : [أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد لصُمت وتصدقته عنه لنفعه ذلك] ,,, العاص بن وائل والد عمرو وهشام , نذر فى الجاهلية ــ وهذا دليل على أن الجاهلين كانوا يعبدون الله ــ أن ينحر مئة بدنة فلما مات ولم يفِ بندرهـ أراد أبناءه أن يفوا بهذا النذر , فقسموا الأمر بينهم , هشام بن العاص , وعمرو بن العاص سأل النبى عن ذلك .

(5) حديث أبى هريرة وعائشة ـ رضى الله عنها ـ فى " سنن ابن ماجة " وصححه الشيخ الألبانى [أن رسول الله كان إذا أراد أن يضحى إشترى كبشين عظيمين سمينين أقرنين

أملحين موجوءين فذبح أحدهم عن أمته لمن شهد لله بالتوحيد , وشهد له بالبلاغ , وذبح الآخر عن محمد وعن آل محمد صلى الله عليه وسلم] .

***التوحيد لغة :** مصدر وحد يوحد توحيداً , وهو جعل المتفرِق واحداً , ووحدته أى جعلته واحداً .

إصطلاحاً : هو إفراد الله بما يختص به من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات .

ويظهر من هذا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

1ـ توحيد الربوبية 2ـ توحيد الألوهية 3ـ توحيد الأسماء والصفات

.

والدليل على هذا التقسيم الإستقراء والتتبع .

***ماهو الرد على من ينكر هذا التقسيم ؟**

نقول له : لماذا أنكرت تقسيم التوحيد ؟ ما السبب الحامل لك على إنكار هذا التقسيم وهذه أمور إستقرائيه وإصطلاحيه , إصطلح عليها العلماء , فلماذا أنكرت تقسيم التوحيد ولم تنكر : شروط الصلاة وأركانها وسننها , ولم تنكر شروط البيع , ولم تنكر تقسيم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف , وهذه الأشياء كلها مافصلها رسول الله , فلماذا قبلت تلك التقسيمات التى دل عليها الإستقراء والتتبع للنصوص ورفضت هذهـ , ما السبب الحامل على هذا ؟

فالواجب عليك أن ترفض القاعدة , بمعنى أنك إذا أنكرت هذه لزمك أن تنكر جميع التقسيمات , وإذا ثبت عندك تلك التقسيمات واعترفت واقررت أنها تقسيمات أخذت بالإستقراء والتتبع لنصوص الكتاب السنة , فما الذى يخرج تقسيم التوحيد عن هذا .

من أمثلة الأدلة الدالة على هذا قول الله : [رب السموات والأرض وما بينهما] في توحيد الربوبية ,,, (فاعبدهـ واصطبر لعبادته) هذه فى توحيد الألوهية ,,, { هل تعلم له سمياً } هذه فى توحيد الأسماء والصفات .

(الحمد لله) : لفظ الله دال علي الألوهية , وكذلك الحمد عبادة صرفه لله جل وعلا ألوهيه فقوله (الحمد لله) هذا دليل توحيد العبادة . وقوله (رب العالمين) : هذا توحيد الربوبية وقوله (الرحمن الرحيم) هذا تـوحيد أسماء وصفات .

***من العلماء من قسم التوحيد إلي ثلاثة أقسام :**

1ـ توحيد الربوبية 2ـ توحيد الألوهية 3ـ توحيد الأسماء والصفات .

1/ توحيد الربوبية :

هو إفراد الله بأفعاله , من خلق ورَزق { الرِزق مفعول الله والرَزق فعل الله } وكذلك الإمانة والبعث والنشور ...

2/ توحيد الألوهية [العبادة] :

يسمى بتوحيد الألوهية بإعتبار إضافته إلى الله , ويسمى بتوحيد العبادة بإعتبار إضافته للعبادة . وهو إفراد الله بأفعالنا , إفراد الله بأفعال العباد , أوإفراد الله بالعبادة من صلاة وخشوع وإنابة ... الخ

3/ توحيد الأسماء والصفات :

هو إفراد الله بأسمائه وصفاته .

**** ومن العلماء من قسم له تقسيم آخر :**

1ـ توحيد المعرفة والإثبات :

المراد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات . وسمى بتوحيد المعرفة لأن معرفة الله عز وجل تكون بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله . والإثبات : المراد نثبت الأسماء والصفات والأفعال إلى الله عز وجل .

2ـ القصد والطلب : المراد به توحيد الألوهية .

وسمى بالقصد : لأن العباد يقصدون به وجه الله ومرضاته . والطلب : لأنهم يطلبون به دخولالجنة والنجاة من النار .

**** وهناك تقسيم آخر :**

1* توحيد المُرسِل : يعنى توحيد الله بأنواعه الثلاثة .

2* توحيد المُرسَل : يعنى توحيد الإتباع .

**** وهناك تقسيم آخر :**

{1} التوحيد العلمى الخبرى : المراد به توحيد الربوبية والأسماء والصفات . وسمى بالعلمى : لأنه يعتنى بجانب معرفة الله , العلمى أى العلم بالله , والعلم بالله يكون بالعلم بربوبيته وبأسمائه وصفاته .

وقيل له الخبرى : لأنه يتوقف على الخبر أى على الدليل من الكتاب والسنة , فلا نثبت لله اسم ولا نثبت له صفة ولا نثبت له فعلاً إلا بدليل , فلما توقف على الخبر ــ أى الدليل قيل له الخبرى .

{2} التوحيد الإرادى الطلبى :

المراد به توحيد الألوهية . وسمى بالإرادى : لأنه مراد الله من الخلق . والطلبى : لأن العباد يطلبون وجه الله عز وجل . هذه هى أقسام التوحيـد .

**** العلاقة بين أقسام التوحيد :**

1/ العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية علاقة تلازم (1) , فإذا وحد العبد الله عز وجل فى ربوبيته لزمه أن يوحد الله فى ألوهيته , مثلاً : وجود الولد يستلزم أن له والداً , يعنى أن الولد يدل على الوالد , لكن غير الولد غير الوالد , وهذا دليل على أن توحيد الربوبية شئ

وتوحيد الألوهية شئ . لكن إذا وحد العبد ربه فى ربوبيته أستدعى ذلك وإقتضى أن يوحدهـ فى ألوهيته .

2/ العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية علاقة تضمن (2) ؛ المراد بعلاقة تضمن أن توحيد الربوبية داخل فى ضمن توحيد الألوهية , مثلاً : من دعى الله وقال : اللهم أرزقنى , هذا عبدا الله بالدعاء.

عبادته لله بالدعاء هذا وسؤاله لله جل وعلا أن يرزقه هذ ا يتضمن أنه يقر فيه بقرارة نفسه أن الله جلاوعلا هو الرَزاق , واعترافه بأنه الله هو الرَزاق هذا توحيد ربوبيه .

3/ علاقة الأسماء والصفات بالربوبية والألوهية علاقة شمول ؛ بمعنى أن توحيد الأسماء والصفات يشمل توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية لأن من الأسماء ما يدل على توحيد الألوهية . كالله : قال ابن عباس : الله أى ذو الألوهيه والعبودية على خلقه أجمعين , ومن الأسماء ما يدل على توحيد الربوبيه مثل الملك الرَزاق وهكــذا .

قال الشيخ رحمه الله : { اعلم رحمك الله ــ أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة } .

(إفراد الله) أى : أن نخص الله بجميع أنواع العبادة , لأن العبادة مفرد معرف والمفرد المعرف يفيد العموم . ما تعريف العبادة لغة وإصطلاحاً . ؟

العبادة لغة :

من الذل والخضوع , نقول : طريق معبد أى مذلل .

إصطلاحاً : يعرف بإعتبارين :

1ـ بإعتبار المتَعَبد به ـ يعنى العبادة المفعولة أو المتقرب بها إلى الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :(هى إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة) .

2ـ بإعتبار التَعَبد :

هى الذل والخضوع لله تعالى محبة وتعظيماً .

يشهد لهذا قول ابن القيم رحمه الله :ـ

وعبادة الرحمن غاية حبــه *** مـــع ذل عابــدهـ همـــا قطبـــان

والشاهد للمعنى اللغوى من كلام العرب هو قول طرفة :

تبارى عتـــافـــاً ناجيـــات وأتبعـــت *** وظيفاً وظـيفاً فوق مورٍ معبـــــــــد

تبارى : تعارض أو تسابق .

العتاف : النوق الكرام .

الناجيات : السريعات .

الوظيف : عظم الســـاق .

المعبد : المذلـــــــل .
المـــور : الطريـــق المـوطوء المستوى .
قوله (وظيفاً وظيفـاً) : يصف لك مشيتـــها , يعنى ترفـــع ساق وتتبـــه بالآخـــر .
قال رحمه الله : (وهو دين (1) الرسل)
الضمير هنا يرجع إلى توحيد العبادة .
" دين " : المراد بالـــدين هنا الشرع الذى بعث به النبيـــون فـــى باب الإعتـــقاد وأصول الديانـــة .
والمقصود أن أصل الديـــن وأساسه وهـــو التوحيـــد واحد عند كـــل الرســـل , وأمـــا الشرائـــع تختلف كما قال تعـــالى : [ولكـــل جعلنـــا شرعـــــــة ومنهاجـــــــــــــاً] .
والنبى صلى الله عليه وسلم قال : (الأنبياء إخوة لعلات) : معنى هذا أن أصل شريعتهـــــم واحد بمثابة الأب , وأما الشرائعة فإنها تتعـــــدد وتخـــتلف مـــن جـهـــة التحليل والتحريـــم .
قال رحمه الله : (الذى أرسلهم الله به) :ـ
دل هذا على أن الرسل بعثوا لتـــقـــرير التوحيد قال الله عـز وجـل : (ومـا أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنـه لا أله إلا أنا فاعـبدون) .هذ الآية دالة على أن الرسل جميعاً جاءوا بـــ { لا إله إلا الله } التى هى عبادة الله وترك عبـــادة ماسواهـ , إذاً الرسل جميعاً جاءوا بالأمر بعبادة الله , والأمر بعبادة الله وترك عبادة ماسواهـ هو توحيد الألوهيه , وقال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله وجتنبوا الطاغوت) .
وعبادة الله واجتناب الطاغوت هو { لا إله إلا الله } . فهذه أدلة إجمالية , أمـا الأدلـة التفصلية :
كقوله تعالى (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرهـ) قوله : (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) : هذه دعوة إلى توحيد الألوهية , وهكذا سائر الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى آخر نبى من الأنبياء جميعاً جاءوا بهذا .
قال رحمه الله ــ : (إلى عبادهـ) :
عبادة : جمع معرف والجمع المعرف من صيغ العموم , وعباد معرفة بالإضافة .
أى إلى عبادهـ المسلم منهم والكافـر, الكل عباد الله , فأما الكفار فعبوديتهم لله جلا علا العبودية العامة وهى عبودية الذل والقهر بمعنى أنهم ذليلون مقهورون بمعنى أن أحكام الله جلا وعلا تجرى عليهم فى خلقهم وفى رزقهم وفى إحياءهم وفى إما تتهم لايستطيع الواحد منهم أن يغير شئياً مما حكم الله به عليهم كوناً وقدراً , يعنى هذا ,,, الله جلاوعلا يحكم عليه

بأن يكون مثلاً لونه أسوداً وهذا لونه أبيضاً , وذاك طويل وهذا قصير ــ من جهة الخِلقة ــ وذاك يلد وهذا عقيم , وذاك مريض وهذا صحيح , وذاك أعمى وهذا مبصر .

ومن هذهـ الجهة الكل عبيد لله عبودية القهر والذل كما قال تعالى : (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً).

والعبودية الخاصة :

هى الإنقياد لأحكام الله وشرعه ,هذه فى أهل الإيمان قال تعالى مخاطباً الشيطان (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) أى عباده الذين انقادوا واذعنوا لشرعه , الذين استسلموا لأحكام الله الشرعيـــــة .

قال رحمه الله : { فأولهم نوح عليه السلام } .

وذكرنا أدلة ذلك , ومن ذلك حديث الشفاعة ــ تقدم ـ وكذلك قوله تعالى : [إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده] وكذلك قول الله تبارك وتعالى : (وكذبوهـ فنجيناهـ ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين * ثم بعثنا من بعدهـ رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات) فهذا دليل على أن نوح عليه الصلاة والسلام أول الرسل . (1)

قال رحمه الله : [أرسله الله لما غلوا فى الصالحين] (2) . هذا فيه بيان وقت بعثة الرسل . مراد الشيخ من هذا التنبيه على أن الله أرسله لما حدث الخلل من قومه فى توحيد العبادة , يعنى ماأرسله الله لهم لأنهم أنكروا أن الله هو الخالق أو الرازق أوالمالك أو المدبر , بل أرسله إلى قومه لما حصل منهم الخلل فى توحيد الألوهية . والذى جرهم إلى الخلل هو الغلو فى الصالحين .

**** الغلو فى اللغة :**

<u>إرتفاع الشئ ومجاوزة حدهـ , مدار مادة " غ " ــ ل ـــ وـ , تدل على هذا .</u>

**** الغلو إصطلاحاً :**

هو مجاوزة الحد قدحاً أومدحاً . فى هذا التعريف ماذكرنا المفعول والمراد من هذا إفادة العموم , لأن حذف المفعول يدل على العموم , مثلاً قال الله تبارك وتعالى : (ياإيها الناس اعبدوا ربكم) ما ذكر بأى شئ نعبدهـ وأى عبادة نعبد الله فدل ذلك على العموم , على أن الواجب علينا أن نعبدهـ بجميع أنواع العبادهـ .

كذلك قوله تعالى :[آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين] وما ذكر أنه هدى لهم بأى شئ ليعم .

والمراد من هذا أن الغلو الذى هو مجاوزة الحد يكون فى الذوات ويكون فى العقائد وفى العادات وفى العبادات والمعاملات .

الغلو الذى كان من قبيل غلو المدح فى الذوات , فعظموهم , عظموا بعض الذوات ثم علقوا صورهم ثم عكفوا على قبورهم . تعباداً ثم عبدوهم وجعلوهم وسائط بينهم وبين الله . كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال :(هذهـ أسماء رجال صالحين من قوم نوح , لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون عليها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا لم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت) (1) .

مراد الأولين أن يتذكروا إجتهاد أولئك فى عبادة الله فيجتهدوا ويعبدوا الله كعبادتهم ففعلوا ذلك ولم تعبد , فلما نسى العلم أتاهم الشيطان وقال لهم : إن

آباؤكم ..... فعبدهم .

ومن عبد شئ دون الله فإنه قد يكون غلا فيه , لأنه رفعه فوق منزلته , فمنزلة جميع المخلوقين أنهم عباد لله , فالذى يعبد غير الله يكون قد ترك ذلك الغير منزلة المعبود وألهـــه , ولذا مذا قالوا ؟ (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً)

فتأمل الأن بعد أن كانوا رجالاً صالحين ماذا صاروا ؟ صاروا آلهة لذلك قالوا { لا تذرن آلهتكم } . فهولاء أوصوهم بهذا يعنى قالوا لهم : لا تتركوا عبادة هؤلاء .

وهذا من باب التواهى بالباطل { لا تذرن آلهتكم } , وهكذا كما قال قوم النبى صلى الله عليه وسلم :(وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشئ يراد) , وهؤلاءٍ قالوا : { لا تذرن آلهتكم } والمعنى واحد, أولئك يصبرونهم على عبادتها وهؤلاء ينهونهم عن ترك عبادتها .

الشاهد أن الغلو صير هؤلاء الرجال الصالحين آلهـــــــــــــــــــــــــة .

والصالحون جمع صالح , والصالح هو من أقام ظاهرهـ وباطنه وفق أمر الله .

قال رحمه الله : { وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ــ وهو الذى كسر صور هؤلاءٍ الصالحين } .

والدليل على أن محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل قوله تعالى : (ما كان محمد آباء أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (1) .

وكذلك فى حديث ثوبان الذى أصله فى الصحيحين فيه : [وأنه سيكون بعدى ثلاثون كذابون كلهم يدعى أنه نبى وأنا خاتم النبيين ولا نبى بعدى] الشاهد : " وأنا خاتم النبيين " وهذهـ الجملة فيها قصر , ووجه أنها جملة معرفة الطرفين , " أنا " ضمير , والضمائر من المعارف , " وخاتم " : نكرة مضافة , ثم أكد قوله هذا بقوله لا نبى بعدى .

نبى : نكرهـ , وهذهـ الزيادة فى الترمزى أما أصل الحديث فى الصحيحين .

وفى حديث آخر قال النبى صلى الله عليه وسلم : (ألا إن الرسالة والنبوة قد إنقطعت وإنه لا نبى بعدِ ولم يبق إلا المبشرات) .

قالوا : وما المبشرات يارسول الله ؟ قال : (الرؤية الصالحة يراها الرجل أو ترى له) . وفى هذا إشكال قد يقول بعض الناس : كيف يقول أن النبى صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين وسينــزل عيسى فى آخر الزمان ؟

الجواب من جهين :

1/ نقول : المخصوص بالخاتمية هنا الشريعة فلا شريعة بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

2/ نقول : عيسى عليه السلام سينــزل عبداً متبعاً لا رسولاً نبياً , وحتى إنه لا يتقدم على مهدى هذهـ الأمة , قال النبى صلى الله عليه وسلم ([كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم إمامكم منكم] وفى روايه [وأمكم منكم] , فلما يقول له المهدى : تقدم , يأبى عيســـى تكرمــة لهذه الأمـــة .) والله جلا علا أخذ العهد والميثاق على النبيين لأن ينصروا نبيينا صلى الله عليه وسلم إن أدركوهـ كما قال الله : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدقٌ لما معكم لتؤمنــن به ولتنصرنه) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : [أمــتهوكوا فىّ يا ابن الخطاب , والذى نفسى بيدهـ لوكان موسى مــا وسعــه إلا إتباعـــى) (1) . دل هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين والرسل .

والشيخ مرادهـ من قوله : { وآخر ..... الصالحين } أن دعوة أول رسول كانت لتوحيد الألوهــية وكانت فى حرب ضدهـ الذى هو الشرك فى الألوهية , وكذلك امتد هذه الدعوة إلى آخر رسول , فجاء أيضاً بالدعوة إلى توحيد الألوهية محاربة الشرك . وكذلك يرد الشيخ ـ رحمه الله أن يبين لك خطورة الشرك وأن الشرك إذا خالط القلوب صعب زواله .

*** ماوجه بيان خطورة الشرك ؟ :أنه مخالف لدعوة جميع الرســـــــل .**

*** وما وجه بيان أن الشرك إذا خالط القلوب صعب زوالـــه ؟**

وجهه أن هذه الأصنام التـــى عبدت فى قوم نوح والله جلا وعلا أرسل نوح عليه السلام لحربهـــا , ماكسرها إلا النبى صلى الله عليه وسلم . هذه الأصنام التـــى كانت فى قوم نوح إنتــقلت نظائرهـــا إلى العرب بدأ حربها أول رسول وما كسرها إلا آخرهـــم .

***** التكسير ــ تكسير الأصنام ــ يكون عن طريقين :**

1ـ الطريق الحســـــى : وذلك بتحطيمها , تكسير ذات الأصنام . هذا هدم لـــــصورهـا .

2ـ الطريق المعنـــوى : تحــطيمـها معـنوياً , وهذا يكون بنشر التوحيد , والنهى عن الشرك , وهذا هدم لها فى القلوب .

لـــكن سياق الشيخ يدل على التــكسير الحســـى , كما فى حديث ابن مسعود فى البخارى [أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مـــكة وحول البيت ستـــــوت وثلاث مـــائة نُصُبٍ (1) فجعل يطعنها بعود فى يدهـ ويقول

" جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهـــوقاً " " جاء الحق وما يبدئ الباطل ومـا يُعيد " .

فالنـبى صلى الله عليه وسلم كسرهـا تكسير حسياً , قد سبق التكسير الحسـى التكسير المـعنوى ـ لكن سياق الشيخ يدل عـــلى التكسير الحسى .

قال رحمه الله : (أرســله الله إلى أناس يتعبدون , ويحجون وتيصدقون , ويذكرون الله كثيراً (2)) ولكنهم يجعلون بعض المخلوقـــات وســـائط بينـــهم وبين الله) .

الشيخ يـريد أن يـبيـن ديـــن المشركـــين من جهـــة الإعتقـــاد والعمـــل . من قوله : { أرسله الله إلى ..... ويذكرون الله كثيراً } هذه الجزئية فى بيـــان ديـــن المـــشركين من جهـــة العمل .

وقوله [ولكنهم يجـعلون .... وبين الله] هـــذا فى بيان الـــدين الـــذى كانوا عـــليه من جـــهة الإعتقاد .

مـــا الثمرة من هذا ؟

ما الثمرة فى أن الشيخ رحمه الله يعرض عـلينا الدين الذى كان عليه المشركون من جهة الإعتقاد ومن جهة العمل ؟ الثمرة : أنه إذا ظهر لك دين المشركين ظهر لك دين المرسلين كما قال : <u>وبضدهـا يتبين الأشياء ـ فوضَ الدين الذى كان عليه المشركون تبين لك دين المرسلين , فنعرف دين المرسلين لنتبعه ونعرف دين المشركين</u> لنجتنبه , ومن لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام .

قوله : (تـــتعبدون .....) (1) يعنى أنهم يعبدون الله بهذه العبادات . وعطف هذه الأنواع من العبادات على قوله { يـتعبدون } عطف خاص على العام . ومرادهـ أن يبين أنهم كانوا يتوجهون إلى الله بجملة من العبادات .

وقوله (ويحجون) : هذا ظاهر فى يدهـــم , أنهم كانوا يحجون ويلبون يقولون : لبيك اللهم لبيك , لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك .

بـــل إنهم كانوا من تعظيمهم لبيت الله ما كانوا يطوفون حول بيت الله بثيابهم التـــى جاءوا بها , إنما يستعيرون ثياباً من أهل الحرم , لإن ثيابهم تلك قـــد عصوا الله فيها فإن اعاروهم شئياً <u>من</u> ثيابهم لبسوها وطافوا وإن لم يعيروهم خلعوا ثيابهم وطافوا عرايا حتى النساء كانت الواحدهـ منهم تقول :

**** اليوم يبدوا بعضه أوكـــله *** وما بدا منـــــه فلا أحـــــــله** إشـــارة إلى ذواتـــــهم .

قوله { ويتصدقون } قالت عائشة رضى الله عـــنها وهى تسأل النبى صلى الله عليه وسلم (ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المساكين فهل ذاك نافعه) قال : { لا يا عائشة إنه لم يقل يوماً رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين } مـــسند أحمد .

وكذلك كانوا يطعمون الطعام كما قال الله عنهم :[أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله] .

وكذلك كانوا ينصرون المظلوم . وينذرون كما فى الحديث الذى زكرنا هـ من أدلة التوحيد [أن العاص بن وائل نذر فى الجاهلية أن ينحر مائة بدنة ...] , وكذلك حديث عمر قال : [انى كنت نذرت أن اعتكف ليلة فى المسجد الحرام فى الجاهلية] هـــذا دليـــــــل النـــذر ودليل الإعتكاف .

وكانول يذكرون الله , بل كانوا يحبون الله قال تعالى :[ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله] .

وكانوا يصومون ؛ كما فى حديث عائــشة قالت :[يوم عاشوراء يوم كانت تصومه العرب فى الجاهلية] .

والشاهد من هذا أنهم كانوا يعبدون الله , لكن إذا عرف الإنسان هذا يقوم فى نــفسه سؤال : هؤلاء يعبدون الله يهذه العبادات ويتقربون لله بهذهـ القرب , هذا يقتضى أنهم يعترفون بوجودهـ جلا وعلا وأنه الخالق المالك المدبر ــ كما سيأتى ــ ومع هذا ماسبب كفرهم ؟ ومـــــا السبب فى إســـتحلال دمـــائهم وأموالـــهم ؟

قال رحمه الله : [ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله , يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله , ونريد شفاعتهم (1) . عنده مثل الملائكة , وعيسى بن مريم وأناس غيرهم من الصالحين .]

قوله : { ولكنهم ..... وبين الله } إذاً هذهـ العبادات ما أخلصوها لله وإنما عبدوا الله بها وعبدوا هذه الوسائط حتى يتقربون إلى الله , فجعلوا بعض العبادة لله وبعضها للوسائط ومرادهم من هـــذا القرب من الله , أن هؤلاء يشفعون لهم عند الله { هذا سبب تــكــفيرهم } .

قوله : (يقولون ..... شفاعتهم عندهـ) إذاً هى العلة لكفرهم وإستحلال دمائهم وأموالهم ـ أنهم صرفوا بعض العبادة لغير اله , وإن كانت نواياهم فى ذلك حسنة ومرادهم أن يصلوا إلى الله , كما قال تعالى :

[ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله] .

الشيخ رحمه الله أخذ هذه العبارة من هذه الآية ,ومن الآية الأخرى قال الله جلا وعلا :

[والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى] فهم يريدون القرب إلى الله واعتقدوا أن هؤلاء الذين صرفوا لهم العبادة أنهم قريبون إلى الله , والله جل وعلا إنما وصلوا إليه بواسطتهم , كيف يصلون إلى الله ؟ بواسطة هؤلاء , وكيف يقربهم هؤلاء إلى الله ؟ بأن يجعلوا لهم شئياً من العبادة .

إذاً الآن الدين الذى كان عليه المشركون أنهم يقرون أن الله هو الخالق الرازق المدبر , وأنهم يتعبدون الله تبارك وتعالى ؛ ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط فيعبدوهم من دون الله , وهذا هو السبب الموجب لكفرهم والموجب لقتالهم وإن صلحت النية .

فالشيخ رحمه الله ــ هنا جعل علتين فى جعلهم الوسائط :

الأولى : التقرب إلى اللـــه .

والثانية : الشفاعة . وهذا أيضاً من قبيل الإعتقاد أن الوسيط يقرب إلى الله وأن هذا الوسيط يشفع عند الله .

قال رحمه الله : (فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام) .

إذاً متى تبعث الرسل ؟ عند حدوث خلل فى توحيد العبادة . ومراد الشيخ من هذا أن يبين لك أن دعوة الرسل واحدة وأن سبب بعثهم واحدهـ قال: { فبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام } بعثه متى ؟ بعـــد أن حصـــل الخلل فى توحـــيد العبادة .

***** التجديد ثلاثـــــة أنواع :**

1ـ تجديد ما اندرس من العقائد والمجئ بشريعة من الله , وهذا هو تجديد الرسل وهو الذى عناهـ الشيخ ـ رحمه الله .

2ـ إبراز وإظهار وإيضاح ما اندرس من الدين وإخراجه للناس , أو : اعادة الدين على ما كان عليه فى عهد السلف الصالح . وهذا هو تجديد المجدد دين الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه :[إن الله يبعث لهذهـ الأمة على رأس كل مائة ســنة من يجدد لها دينها] من حديث أبى هــريرة فى "سنن ابى داوؤد " .

3ـ تجديد المُحْدِثين وهو إحياء ما اندرس من البدع , أو : هو الإبتداع فى الدين . وهذا هو المذموم .

المجدد يشترط فيه :

1/ أن يكون من أهل السنة لأنه يُحيى ســـنة النبى صلى الله عليه وسلم بعد اندثارها .

إذاً إذا ادعى مدعى أن أحد من أهل البدع من الحديد فكلامه مردود لماذا ؟ لأن المبتدع إنما يُحيى البدع .

2/ أن يكون مجتهداً , وشروط المجتهد قد ذكرها الإمام التويجرى فى الورقات قال :

***** والشرط فى النفس اجتهاد *** وهو أن يعرف منهاج الكتاب والـــسنة**

**[كلام محـــــــ

يشار للعلم إلى مقام ,,,,,,,,,,,,,,,,,, وينصر السنة .....

وأن يكون جامع لكل فن ,,,,,,,,,,,, وأن يعم علمه أعلى .....

****** الشيـــخ رحـــمه الله قـــال : { يجدد لـــــــهم ديـــــن أبيـــهم إبـــراهيـــــم } ******

هـــذا هو التجديد ومعناهـ تجديد الرســـل .

قال حمه الله : (ويخبرهم أن هذا التقرب والإعتقاد محضُ) حقِّ الله , لا يصلح منه شئ لغير الله , لا لملك مقرب , ولا لنبى مرســـل فضل عن غيرهمـــا)

{ هذا التقرب } : أى يصرف العبادة لغير الله .

{ والإعتقاد } : أى اعتقاد أن غير الله يستحق شئ من العبادة .

{ لا يصلح منه } : أى من هـــذا الحق , لأن هـــذا الـــتـقـرب والإعتقاد حق الله كما قال الشيخ رحمه الله .

قـــوله { لا لملك مقـرب } : يعـــنى جبريل عـــليه الـــسلام .

{ ولا نبى مرسل } : يـــعـــنى النبـــــــى صـلى الله عـــليـــه وســـلـــم .

إذاً مثل الشئ رحمه الله فى صنفين الأول الملائكة المقربين وهؤلاؤ أقرب الملائكة لله , والثانى : الأنبياء المرسلين هؤلاء أقرب البشر إلى الله . ومرادهـ من هذا أن يقول لك : إن كانت عبادة هؤلاء لا تجوز وكذلك إعتقاد أن هؤلاء يستحقون شئ من العبادة لا يجوز فعدم جواز ذلك لمن هو دونهم من باب أولى , لذلك قال : { فضلاً عن غيرهما } .

يعنى إن كان جبريل عليه السلام والنبى عليه الصلاة والسلام لا يستحقان العبادة فغيرهم من باب أولى .

قال رحـــمه الله : (وإلا فهؤلاء المشركون) :

ما معنى قوله : (وإلا) : الشيخ قبل هذا قرر أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث لدعوة الناس إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله عز وجل ــ فمراد (و إلا) إن لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم بعث لأجل هذا ــ الذى قررناهـ ــ [والمشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحدهـ لا شريك له وأنه لا مالك إلا هو ولا محى إلا هو ولا مميت إلا هو , ولا يدبر إلا هو , وأن جميع السموات ومن فيهن والأرضيين السبع ومن فيهن , كلهم عبيدهـ وتحت تصرفه وقهرهـ] ــ هذا قول الشيخ رحمه الله ــ إن كان المشركون على هذه العقيدهـ والنبى صلى الله عليه وسلم لم يبعث لدعوتهم إلى عبادة الله وترك عبادة ماسواهـ , كأن الشيخ يقول لك : فـنبؤنا وأخبرونا بأى شئ بعث ؟

فإن قالوا : أن بعث لتوحيد الربوبية , فالمشركون مقرون به .

إذاً بعثتهم لتوحيد العبادة . ومراد الشيخ أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث لتوحيد العبادة وحرب الشرك فيه .

من جملة الأدلة ..... أن النبى صلى الله عليه وسلم إنما بعث لتقرير توحيد الألوهية لا لتقرير توحيد الربوبية . نقول : لوكان النبى صلى الله عليه وسلم طلب منهم الإقرار بتوحيد الربوبية ما صار بينه ولا بينهم خصومة ولا نزاع ؛ لأنهم مقرون ومعترفون بهذا , إذاً ما سبب هذهـ الخصومة وما سبب هذا النزاع ؟

*** عدم الإقرار بتوحيد العبادة ***

قوله : { كلهم عبيدهـ } : يُرد بهذا العبادة , العبادة العامة الكونية القدرية لا الشرعية , والدليل قوله : (وتحت تصرفه وقهرهـ) . لأن معرفة المراد من كلام المتكلم يُعرف من سياق كلامه .

قول الشيخ { وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق ... } هذهـ دعوة والدعوة تحتاج إلى دليل يسندها .

لذلك قال رحمه الله : (فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فقرأ قوله تعالى .....) .

والآيات فى هذا كثيرة التى تدل على اعترافهم وإقرارهم بهذا , والشيخ رحمه الله إنما أراد التمثيل أو الإستدلال ببعضها ما كلها : ما الدليل على هذا ؟ قوله : [وغير ذلك من الآيات] .

من الأدلة وقوله تعالى : { أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها..... } .

إلى آخرهـ من هذهـ الآيات الدالة على هذا .

قال رحمه الله : (فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم فى التوحيد الذى دعاءهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

قوله : { فإذا تحققت } : تحقق الشئ : إذا صح عندك وأصبح على يقين منه . يقال حقق الشئ وتحقق الشئ.

فالآن صح عندنا أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية واصبحنا منه على يقين , وكيف وصلنا إلى اليقين وصح عندنا هذا الشئ ؟ بما معنى من الأدلة .

كأن الشيخ يقول لك : صح عندك وتيقنت أن المشركين الأولين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وحصل لك هذا اليقين بم معنى معك من الأدلة .

قوله { أنهم } : أى المشركين .

قوله { مقرون بهذا } : أى معترفون بتوحيد الربوبية .

قوله { ولم يدخلهم } : يعنى الإقرار بتوحيد الربوبية .

[فى التوحيد الذى دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم] ,,, وهو توحيد العبادة .

قوله : { عرفت أن التوحيد الذى جحدوهـ هو توحيد العبادة } .

قال تعالى : (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون ءإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

ففهموا أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم بتوحيد العبادة ؛ يعنى يتوجهوا لله تبارك وتعالى بعباداتهم وحدهـ دون من سواهـ , ولذلك رفضوا هذا , (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أءنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) .

فدينهم هو تعدد الآلهه , ودين النبى صلى الله عليه وسلم هو توحيد الإله , ولذلك هم جحدوا توحيد العبادة .

قال رحمه الله : [الذى يسميه المشركون فى زماننا الإعتقاد] (1) .

هذه التسمية كانت فى زمن الشيخ ولا تزال , إذا لقيت أحد المتصوفة , سله قل له عقيدتك فى من ؟ يقول لك : أنا عقيدتى فى المكاشفى , وآخر : أنا عقيدتى فى البرعى وهكذا , ويسمى بعضهم بعضاً أصحاب العقائد يقول لك : فلان هذا صاحب عقيدة (2) .

صاحب عقيدة بمعنى أنه يعتقد فى غير الله , وأنه يجوز عبادة غير الله .

كما هو معلوم أن الأسماء لا تغير الحقائق فالأحكام متعلقة بحقائق الأشياء لا بالأسماء , فلو أن الناس سموا الشرك توحيد هل هذا يغير من حقيقيته شئ ؟ هل هذا يغير من حكمه ؟

ولو أنهم سموا الخمر مشروبات روحانية , ولو أنهم سموا الرِشوة تسهيلات , ولو أنهم سموا الربا مضاربة إسلامية , كل هذا لا يغير من الحقيقة شيئاً , وتغير الأسماء لا يغير الحكم . لكن تأمل فى عظيم نصح الشيخ رحمه الله ــ فإنه كان يتكلم ويخاطب الناس بما يعالج واقعهم ويخاطب الناس بما يعرفون وهذا تجده فى عدة مواضع .

مثلاً سيمر بنا قول الشيخ : { وإنما ..... بالإله ما يعنى المشركون فى زماننا بلفظ " السيد " , وفى كتاب التوحيد قال : [باب ماجاء فى الرقى والتمائم ..... والرقى هى التى تسمى العزائم] تسمى العزائم عند المشركون فى زمانه . وكذلك قوله : [فاعلم أنه هذهـ الألوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا السروالولاية] يقول لك : فلان فيه سر وفلان ولى بمعنى أنه يصرفون له ما لله جلا وعلا.

فهم يسمون توحيد العبادة بالإعتقاد .

قال رحمه الله : (كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً) (1) : أى أن المشركين كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً , كما مر بنا أنهم كانوا يدعون الله كان يتصدقون ويحجون ويصومون .....

ثم قال رحمه الله ــ { ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم (2) وقربهم من الله ليشفعوا له (3) , أو يدعو رجلاً صالحاً مثل : اللات أونبياً مثل : عيسى } .

إذاً مصيبتهم أنهم كانوا من هؤلاءٍ من يدعو الملائكة وذكر أن دعا الملائكة أوغيرهـ إنما يكون بعلتين :

1ـ لأجـــــــــــل صلاحـــهم .

2ـ قربـــهم من الله , فأراد بقرب هؤلاءٍ من الله أن يتقربوا إلى الله , ويشفعوا لهم .

مراد الشيخ إذا عرفت أنهم كانوا يوحدون الله فى ربوبيته فأضف إلى هذا أنهم كانوا يصرفون ..... من أنواع العبادات لله .

ولكن وقع الشرك منهم فى توحيد العبادة , وهذا هو دأهم وبلاءهم الذى قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه , ولذلك قال الشيخ بعدها ما يأتى ـت

قال رحمه الله : (وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحدهـ .)

. أى الشرك فى العبادة : { على هذا الشرك }

. فـــــــــــــــى الشرك للـــعهد الذهنـــى : { ال }

قاتلهم النبى صلى الله عليه وسلم لما قاتلهم ؟ للـــشرك , مـــانوع شركهم ؟

أنهم عبدوا غير الله , مــاذا يريدون ؟ يـــريدون القرب والشفاعة , لماذا عبدوا هؤلاءٍ ؟

عبدوهم لأنهم يريدون القرب والشفاعة وما اعتقدوا كل واحد إنما عبدوا من اعتقدوا فيه من . صلاح ومن اعتقدوا أنهم قريبون من الله جلا وعلا

مراد الشيخ من هذا أن رسول الله صلى الله : {. ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحدهـ }

. عليه وسلم مادعاهم لتوحيد الربوبية وإنما دعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحدهـ

قال رحمه الله : [كما قال تعالى : (وأن المساجد لله فلاتدعو (1) مع الله أحداً)]

هكذا دعاءهم النبى صلى الله عليه وسلم دعاءهم إلى إخلاص العبادة لله . معنى الكلام على . هذه الآية

قال رحمه الله : [وقال تعالى : (له دعوة الحق (2) والذين تدعون من دونه لا يستجيبون لهم . بشئ)]

له دعوة الحق " : أخرج الطبرى فى تفسيرهـ عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ـ أنه "

. قال : [له دعوة الحق : أى لـــــه التوحيد] والتوحيد هو تـــوحيد العبادة

. وهنا قصر ووجه تقديم الجار والمجرور على المبتدأ والخبر , أصلها { دعوة الحق له }

بعضهم يعرب الجار والمجرور : خبر . وبعضهم يعرب " له " : اللام حرف جر والهاء ضمير متصل مبنى على الضم فى محل جر , والجار والمجرور متعلق بخبر محذوف والتقدير " كانت . " { دعوة الحق كانت له }

. فالله جلا وعلا له التوحيد إستحقاقاً فلا يستحق غيره أن يصرف له شيئاً من العبادة

فى الآية عـــموم فى الداعى وعموم فى المدعو , فـــفى الداعى قوله (والذين يدعون) ,

. والعموم فى قوله (من دونه)

: إذا دعى أحد غير الله جلا وعلا فإن هذا الغير قال تعالى

شئ " : نكرهـ فى سياق النفى تفيد العموم , وهذا عموم فى كل " [لا يستجيبون لهم بشئ]

: " طلب . " لهم

. أى للداعـــــين

. وإن كانوا لا يستجيبون هذا يدل على أنهم عاجزون والعاجز لا يستحق أن يعبد

قال الله جلا وعلا فى هذهـ الآية [إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاهـ] وهذا من باب التعليق بالمستــحيل .

قال رحمه الله : [وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله , النذر كله لله , والذبح كله لله , الإستغاثة (1) كلها بالله وجميع أنواع العبادات كلها لله .

يعنى الشيخ يقول لك : مما تقدم فإنك تتحقق ــ أى يصح عندك وتصبح على يقين ــ من أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما قاتل المشركين ليعبدوا الله وحدهـ .

إذاً دعوة الرسل منصبة فى ترك عبادة غير الله . قال تعالى : [وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله] قال ابن عباس : { حتى لا تكون فتنة , حتى لا يكون شرك } .وفى راوية { حتى يخلص التوحيد لله } .

: فهذا التوحيد هو الذى حصل فيه النزاع كما قال الشيخ حافظ الحـــكمى

هـــذا وثـــانى نوعى التوحيد **** إفراد رب العـــرش عن نديد

أن تعبـــــــد الله إلــهاً واحداً **** معترفاً بحــقه لا جاحـــداً

وهو الذى به الإله أرسلاً **** رسله يـــدعون إليه أولا

وأنزل الكتاب وال..... **** من أجله وفرق الفرقـــان

وكلف الله الرسول المجتبى **** قتال من عنه تولى وأبى

حتى يكون الدين خالصاً له **** سراً جهراً دقـــه وجــله

وهكـــذا أمته قد كلفوا **** بذا وفى نص الكتاب وصفوا

أى أن أمته يقاتلون لتكون كلم الله هـــــــى العليا

قال رحمه الله ـ : [وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الإسلام , وأن قصدهم الملائكة , والأنبياء والأولياء , يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك ,هو الذى أحل دماءهم وأموالهم .]

إذاً الملائكة والأنبياء قصدوهم بالعبادة أى توجهوا لهم بالعبادة وعلتهم فى هذا أنهم يريدون ممن توجهوا لهم أن يشفعوا لهم ويريدون منهم أن يقربوهم إلى الله تبارك وتعالى زلفى , وهذا هو الشرك فى العبادة وهو الذى أحل دماءهم وأموالهم . إذا عرفت هذه المقدمات قال رحمه الله :

. [عرفت حينئذ التوحيد الذى دعت إليه الرسل , وأبى عن الإقرار به المشركون]

إذاً التوحيد الذى دعت إليه الرسل هو توحيد العبادة كما دلت على ذلك الأدلة التى مضت قال تعالى : [ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] , [وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا إنا فاعبدون] وكذلك : [وأذكر أخا عاد إذ أنذر قومه

بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله] , [فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله] .

وقال تعالى [وإذا . [ألر* كتاب أحكمت أياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله] أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله] , [وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من إله غيرهـ] , [وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرهـ] . , [وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرهـ]

إذاً التوحيد الذى دعت إليه الرسل هو توحيد العبادة . قوله [وأبى المشركون أن يقروا بهذا] أبوا ورفضوا كما قال الله تبارك وتعالى فى يوم القيامة يخاطب هؤلاءٍ الكفار مخاطبة تنكيل يقول له الله : [أرأيت لوكانت لك الدنيا ومثلها معها أكنت مفتدياً بها] .يقول نعـــــــــم , : فيقول الله تبارك وتعالى

.(أردت منك ما هو أهون من ذلك ألا تشرك فأبيت إلا الشرك)

ومن الأدلة على أنهم أبوا قال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) وقوله (أجعل الآلهة إله واحداً إن هذا لشئ عجاب) وقوله (وأنطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا . على آلهتكم إن هذا لشئ يراد * ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق)

قال رحمه الله : { وهذا التوحيد هو معنى قولك : " لا إله إلا الله " (1) فإن الإله عندهم هو . الذى يقصد لأجل هذهـ الأمور ..... }

. أى توحيد العبادى : { وهذا التوحيد }

هو معنى قولك : " لا إله إلا الله " : لأن توحيد العبادة هو إفراد الله بالعبادة , وإفراد الله } بالعبادة هو مقتضى " لا إله إلا الله " : وتفســــــــــــير " لا إله إلا الله " : هو توحيد العبادة . كما دلت عليه النصوص كما تقدم ـ فى الأصول الثلاثة ـ

. والشيخ أراد بهذا يرد على الذين يفسرون " لا إله إلا الله " بغيـــر معنـــــــــــاها

فكأن الشيخ رحمه الله يقول لك : ليس معناها لا خالق ولا رازق ولامدبر ولاقادر على ..... إلا الله لكان أبوجهل وأبولهب من المسلمين , ولكان قوله تعالى : [إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون] كـــذبة ؛ لأنهم ما استكبروا عن هذا المعنى . وكـــذلك للزم من ذلك تغليط الرسول صلى الله عليه وسلم فى حربهم وقتالهم , لأنه قاتل أناس مسلمين ـ على زعمهم ـ ولو كان هذا معناها ـ لاخالق ولارازق إلا الله ـ لما قال النبى صلى الله عليه وسلم : قولوا " لا إله إلا الله " : لأنه حين إذن يطلب منهم ماهو حاصل , ويقاتلهم على شئ يعترفون ويقرون بـــــه

. فـــ " لا إله إلا الله " معنـــاها جـــــــاء بـــها النـــصوص كما مـــعنـــى

: إعرابـــها

. لا : نـــافية للجنس تعمل عمل إن

. إله : إسمها منصوب وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخرهـ

.خبـــــــــرها محــذوف تقــديرهـ حـــق

. إلا : أداءة إســتــثــناء

. لـــفظ الجــلالــة : مرفوع لأنه بـــدل , ومنــصوب على الإستثــناء

لا " : نـــــــافية , " إله " : نـــكرة فى سياق النــفى يـــفــيد العمــوم بهذا أنت تقول : لا " . مــعــبود

.إلا الله " : وهـــذا إستثــناء مسبوق بــنــفى وهـــذا مـــن أســـالـــيب القـــصـــر "

. معناهــا : أن الألوهـــية والعبودية الحق : مـــحصورة ومقــصورة على الله

إله ": على وزن فـــعال بمـــعـــنى مــفــعــول أى معبود , ما أخوذ من ألهه , يأله , إلهــة ,"

: يعــنى عبد , يعبد , عبادة , الله جل وعلا قال لـــهم

لا إله إلا الله " : يعنى ءأمعــبود مع الله . لمـــــــــاذا فـــســـرناهـــا بهذا ؟ "

. نقول : لأنهـــم جعـــلوا معـــبودين مع الله , ولم يجعلوا خـــالقـــين ورازقـــين مع الله

: **ولها ركنان**

. ـ نـــــــــفى 2ـ إثـــــبات ـ : الكلام على هـــذا مضـــى1

: ولها ســبعة شروط ذكرهـــا الشيخ حافظ الحـــكمى فـــى مـــسلم الوصول قال

وبشروط سبعة قد قيدت **** وفـــى نصوص الوحى حــقــاً وردت

فإنه لم ينـــتــفع قائلـــها **** بالنطق إلا حـــيث يســتكـــملـــهـــــــا

العلم واليقين والقـــبول **** والإنـــقــياد فـــادرٍ مـــــــا أقـــــــول

والصدق والإخلاص والمحبة **** وفـــقـــك الله لـــمـــا أحـــــــــــــبه

: وقـــال آ خر

علم يقين وإخلاص وصدقك مع **** مـــحـــبة وإنقياد والقبول لـــــهـــا

..... وزيـــد

كـــــــــــــــــــلام محـــــــــــــــــــذوف

. العلم المنـــافى للجـــهـل

. اليقين المنافى للشك

. القبول المنافى للرد

. الإنقياد المنافى للترك

الصدق المنافى للكذب

. الإخلاص المنافى للشرك

. المحبة المنافيه للبغض

هذه الشروط شروط قلبيه يعنى " لا إله إلا الله " لا ينتـفع بها صاحبها إلا إذا قامت فى قلبه هذهـ الشروط

. " أما إسلام الإنسان فإننا نقبله بمجرد النطق بـــ " لا إله إلا الله

فإن إستقام عليها وعلى معناها كان من المسلمين , وإن أخل بشئ من معناها وأدى به هذا الإخلال إلى الردة والخروج من الملة كان كافراً مشركاً .

قال رحمه الله : { فإن الإله عندهم هو الذى يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً , أونبياً , أو ولياً , أو شجراً , أو قبراً , أوجنياً .}

. أى عند المشركين الأولين : { عندهم}

. بأنواع العبادة . إذاً الإله عندهم من صرفت له العبادة : { يقصد}

. أى للقربة أو الشفاعة : { لأجل هذه الأمور }

يعنى مرادهـ العبادة إذا صرفـــت للملك صار الملك إلهــاً , : { سواء كان ملكاً ....أوجنياً }

وكذلك إذا صرفت العبادة إلى النبى صار النبى إ لـــهاً , وهكذا الولى والشجرة والقبر والجنى فالأمر فيها سواء , والأمر الجامع أن العبادة صرفت لغير الله , فإذا صرفت العبادة لغير الله صار ذلك الغير إلهاً .

يعــنى الشيخ لما قال لك : (سواء كان ..... جنياً) : يريد أن يقول لك : إنما العبرة عندنا بصرف العبادة أوشيئاً منها لغير الله .

قال رحمه الله : [لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرَّازق المدبر] .

يعنى أن المشركين مافسروا الإله بالمعبود والإله عندهم ليس معناهـ الرب الخالق الرازق المدبر . قال رحمه الله : (فإنهم يعلمون ذلك لله وحدهـ كما قدَّمـــــت لك)

الإشارة إلى ..... هوالخالق الرازق المدبر : { يعلمون ذلك} .

قال رحمه الله : [وإنما يعنون بالإله مـــا يعنى المشركون فى زمـــــانـــــنا " بلفظ " الســـــيد

يعنى عند الأولين الإله هو الذى تصرف له العبادة , فالقبوريون والمنحرفون فى هذا الباب فى زمان الشيخ يسمونه بالسَّـــيِّد , يعنى الذى يتوجهون إليه بالعبادة , يدعونه يحلفون به يستغيثون به يستعينون به يقصدونه بالعبادة لطلب القربة والشفاعة هذا يسمونه بالسَّـــيِّد .

وكونهم سموهـ بالسَّـيِّد هل هذا يغير من الحقيقية شيئاً ؟

لا يغير السَّـــيِّد هو الإله , سواء كان سموهـ سيداً أو سموهـ ولياً أو فقيراً أو يقال فلان هذا فيه سر , صاحب السر, كل هذهـ الإشياء ينعتون بها من توجهوا إليه بالعبادة . وقولهم (فيه سر) : يعنى فيه قدرة على جلب المنافع ودفع المضار . وهــكذا يحزون عبادة غير الله ودعاء غير الله والإستغاثة بغير الله لأن هؤلاءٍ الذين يستعينون ويستغيثون بهم تظهر على أيديهم بعض الخوارق .

فالأولين يسمون الذى تصرف له العبادة الإله قال تعالى { أجعل الآله إله واحداً } .
يسمونهم بالســـادة , والعبرة فى المعاملة مـــايعامل به هؤلاءٍ وهولاءٍ , والأسماء لا تغير الحقائق .
{ فى زماننا} : أى فى زمان الشيخ , وإلى الآن يسمونهم بالســـادة . ويعتقدون أن هؤلاءٍ السادة لهم منزلة عند الله , هذه المنزلة تؤهلهم إلى أن يكونوا شفعاء إلى أن يكونوا وسائط عند الله , فإن كانوا كذلك جازت عباداتهم , فيو ....ويدعون من دون الله .
قال : رحمه الله : { فإتاهم النبى صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهى : " لا إله إلا الله " .
(فإتاهم) : أتـــــــــى المشركين الأوليـــــــن . فدعاهم إلى كلمة التوحيد لأن الخلل حصل فيها .
وكأن الشيخ يقول لك : وهؤلاء يجب أن يدعوا لـــ " لا إله إلا الله " لأنهم قد ..... أولئك صرفوا العبادة لغير الله .
قال رحمه الله : { والمراد من هذهـ الكلمة معناها لا مجرد لفظها } .
{ من هذه الكلمة } : أى كلمة التوحيد وهى " لا إله إلا الله " . وهذه الكلمة لابد فيها من أمور :
1/ العلم بمعناها نفياً وإثباتاً .
2/ إعتقاد هذا المعنى .
3/ الـتلـــــــــفظ بهـــا .
4/ العـــمل بمـقـــتـضى هـــذا الـــمـــعـــنـــى .
*** **ما مقتضى هذه الكلمة ؟**
عبادة الله وترك عبادة ما سواهـ أو عبادة الله وترك الشرك .
فمن جاء بها نحو ما ذكرنا نفعته , وإلا فإن مجرد التلفظ بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمـقتضاهـــا فهذا لا ينفع , ما الدليل على هذا ؟ الدليل ما حكاهـ الله عن المنافقين , المنافقون أما كانوا يقولون " لا إله إلا الله " ؟
كانوا يقولونها , وكذلك اليهود والنصارى . ما الدليل على أنهم كانوا يقولونها ؟
أولاً عن المنافقين قال تعالى : [إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون] والشهادة الظاهرية لهذا تقتضى التلفظ " لا إله إلا الله " . أما اليهود والنصارى قال تعالى : [وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون] فهم يقولونها يتلفظون بها ومع ذلك النصارى يعبدون عيسى , واليهود يعبدون عزير كحال كثير من هذهـ الأمة يتلفظون بها ولكنهم لا يعملون بمقتضاها . قال الشيخ حافـــظ الحكمى رحمه الله :

من قالها معتقداً معناها *** وكان عاملاً بمقتضاها

فى القول والفعل ومتات مؤمناً *** يبعث يوم الحشر ناج آمنا

" مات مؤمناً " : إشارة إلى أنه ثبت عليها حتى الممات . ثم قال:

فإن معناها الذى عليه *** دلت يقيناً وهدت إليه

أن ليس بالحق إله يعبد *** إلا الإله الواحد المنفرد

بالخلق والرِّزق وبالتدبير *** جل عن الشريك والنظير

قال رحمه الله : (والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات هو : إفراد الله تعالى بالتعلق به والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه , فإنه لما قال لهم قولوا " لا إله إلا الله " :

قالوا [أجعل الآلهة إله واحداً إن هذا لشئ عجاب]) .

مراده أن المشركين كما تقدم يعلمون معنى هذه الكلمة لأنهم لما سمعوا هذه الكلمة عرفوا معناها , وهو أن يكون المعبود واحداً لذلك قالوا : { أجعل الآلهة إله واحداً } فهذا معنى { لا إله إلا الله } أن تكون الألوهية لواحد وهو الله , ولذا إستكبروا عن هذا المعنى قال تعالى : { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون ءإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون } إذاً معنى " لا إله إلا الله " عندهم :

ترك الآلهة والتوجه لله تبارك وتعالى بالعبادة . ولذلك الشيخ بين أن المراد معناها لقوله : { فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك } فبدأ بالعلم قبل القول والعمل , الذى يجهل معنى " لا إله إلا الله " لا يمكن أن يعمل بمقتضاها , فالإنسان مثلاً إذا ما عرف ما الصلاة هل يستطيع أن يصلى ؟ لا يستطيع , فكذلك فإن الإنسان إذا جهل " لا إله إله الله " : فإنه لا يمكن أن يعمل بمـقـتضـاها .

قال رحمه الله : (فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك , فالعجب ممَّنْ يدَّعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهَّال الكُفَّار)

{ يعرفون ذلك } : أى معنى " لا إله إلا الله " , هذا فى أجهل أجهل الكفار , أبوجهل يعرف هذا .

قال رحمه الله : (بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير إعتقاد القلب لشئ من المعانى).

{ بل يظن ذلك } : أى بل يظن أن ما أرادهـ الله من هذه الكلمة . وهؤلاءٍ ما عرفوا معناها فلذلك من باب أولى أن يجهلوا المراد منها . فبعضهم أن المراد منها مجرد التلفظ فقط , فهذا ليس بصحيح .

قال رحمه الله : (والحاذق منهم يظن أن معناها " لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله ") .

{ الحاذق منهم } : أى الفطن منهم صاحب المهارة والخبرة والذى يعدونه عندهم عالماً وجهبذاً من جهابذاً الأمة .

{ يظن أن ... } : هذا حال الحاذق فيهم فكيف بحال من دونه ؟ هذا حال العالم والحاذق يفسر " لا إله إلا الله " بالربوبية ويظن أنه قد أتى بالمراد . فهذا واقع فيهم فالشيخ ما إفترى بل إنه يتكلم عن واقع وما زال هذا الأمر كان فى زمنه وفى زماننا .

قال رحمه الله : (فلا خير فى رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى " لا إله إلا الله ") .

" لا " : نافية , " خير " : نكرة فى سياق النفى تفيد العموم , يعنى ما فيه ذرهـ من الخير , لأن هذه الكلمة " لا إله إلا الله " هى أساس كل خير فلا خير إلا وهو يقوم عليها فإن كان الإنسان يجهل معناها فهذا معناه أنه ليس فيه خير لأن " لا إله إلا الله " هى أساس الخير ومن كان جاهل بمعناها وإن كان يعمل شئ من الخير فإن هذا الخير خابط لا إعتداد به لأنه أقامة من غير أساس كالذى يبنى فى الهواء فلا يسمى بانياً لأنه بمنزلة مـــن لـــم يفعل .

قال رحمه الله : (إذا عرفت ماذكرت لك).

يعنى ماسبق , إذا عرفته وتقرر عندك كل ما سبق وهو الفرق بين التوحيد الربوبية والألوهية , وأن المشركين أقروا بالربوبية وجحدوالألوهية , وأن توحيد الربوبية وحدهـ لا ينجى الأنسان , وأن الخلل الذى حصل لهم فى توحيد الألوهية هو الذى من أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب ومن أجل هذا الخلل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستحل دماءهم وأموالهم , وعرفت معنى " لا إله إلا الله " .

وعرفت أن التوحيد الذى أرادهـ الله منك هو توحيد العبادة لا توحيد الربوبية , ... وأن " لا إله إلا الله " معناها " لا معبود بحق إلا الله " ليس معناها " لا حاكم إلا الله " هذا تفسيير القطبيين , أو " لا ربه إلا الله " هذا تفسير الصوفية , أو " إخراج اليقين الصادق عن ذات الأشياء وإدخال اليقين الصادق على ذات الله" هذا تفسير التبلغيين , ما قولك فى من يفسر " لا إله إلا الله " بـــ " لا معبود إلا الله " ؟

هذهـ وحدة وجود لأنه يدل على أن كل من عبد فهو الله . وإ ذا عرفت كل تلك المقدمات .

قال " (إذا عرفت ما ذكرت لك) , "ما" : مـوصولة بمعنى الذى تفيد العموم أى { إذا عرفت جميع ماذكرت لك } **قال رحمه الله : [معرفة قـــــلب]** :

يعنى أن هذه المعرفة ما زجت القلب وخالطته وأصبحت يقيناً راسخاً لا يتسرب إليه شك ولا يرتابه ريب .

قال رحمه الله : [وعرفت الشرك بالله الذى قال الله تعالى فيه : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)] . هـــــــــــذا قـــد مـــضـــى بـــنا . الشرك يقصد الشيخ به الشرك فى العبادة .

قال رحمه الله : [وعرفت دين الله الذى أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد دين سواهـ] وهـــو التوحـــــيد .

قال رحمه الله : [وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا] .

يعنى الشيخ رحمه الله عرفك بالتوحيد المراد وعرفك بالشرك الذى حرمه الله والذى جاء الرسل لحربه , وعرفك أن التوحيد هو دين الرسل ثم بين لك معنى " لا إله إلا الله " ثم بعد ذلك ذكر لك أن هذهـ الحقائق غائبة عن كثير من الناس بل حتى الحذاق منهم . إ ذا عرفت فضل الله عليك بأن هداك لهذا ثم نظرت فى الناس من حولك فوجت أن كثير من الناس قد حرموا هذا الخير , الشيخ قال لك : { أفادك فائدتين : } مـــا هـــما ؟

قال رحمه الله : (الأولى : الفرح بفضل الله ورحمته كما قال تعالى : [قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون]) .

نفرح أن الله تفضل عليك بهذا الفضل وعلمك , تفرح بفضل الله وبرحمته عليك , رحمك وتفضل عليك بهذا العلم الذى حرم الله منه الكثير من الناس , قال الله ممتناً على النبى صلى الله عليه وسلم : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناهـ نوراً نهدى به من نشاء ..... عبادنا).

وكذلك قال الله له : { وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً } هذا فضل الله . فضل الله أن منَّ عليك بالتوحيد , ورحمته أن جعلك من أهله , لذلك ماذا قال يوسف عليه الصلاة والسلام قال :

[إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس]

إذاً توحيد هو فضل الله .

إذاً نفرح بمعرفة الحق وبأن فتح الله تبارك وتعالى بصائرنا وعرفنا المعنى الصحيح لـ" لا إله إلا الله " وعرفنا الغاية التى من أجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب , نفرح فرح شكرٍ وإعتراف بنعمة الله تبارك وتعالى وهذا الفرح بهذا مما أمر به قال تعالى ـ كما قال الشيخ : (**قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**) فالفرح بالنعمة والفرح بالهداية هذا ما أمورنا به بخلاف الفرح بالمعاصى فإنه محرم قال تعالى : { لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين } أى لايحب الفرحين بمعصيته وإنما يحب الفرحين بالحق قال تعالى :

{ وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع } .

هذا فرح مذموم وقال تعالى : { ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق } .إذاً دلت الآية أن الفرح بالحق ممدوح . الفرح بالدنيا وحطامها مذموم , أما الفرح بالدين بالعلم النافع بالهداية بالعبادة بالإستقامة هذا فرح محمود .

إذاً هذه النعمة طالما أننا إستشعرنا نعمة الله علينا فلا بد لنا من شكرها ولا بد لنا من الإعتناء بها , الهداية إلى التوحيد هذه نعمة عظيمة فإلعناية بها تكون بتعلم التوحيد بأصوله وتفاصيله وأدلته وبراهينه وكيف نحقق هذا التوحيد , كيف نقويه ونيميه فى قلوبنا , كيف نكمله .

قال رحمه الله : (والثانية أيضاً : الخوف العظيم) .

الخوف من الشرك خصوصاً إذا عرفنا أضراره وأخطاره فتخاف أن تقع فى هذا الشرك كما وقع غالب الناس فيه فإبراهيم عليه الصلاة والسلام كما مر بنا فى كتاب التوحيد فى باب الخوف من الشرك لم يأمن على نفسه الفتنة مع كمال علمه وكمال يقينه مع أنه هو الذى كسر الأصنام وألقى فى النار بسبب ذلك مع هذا يخاف فيدعو :(وأجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) .

وشيخ الأسلام محمد بن عبد الوهاب نبه على هذا بـتـنـبيه عظيم قال : { وقال الخليل .... } يعنى مع أنه بلغ مرتبة عظيمة فى القرب من الله حتى صار خليلاً لله تعالى مع هذا ما إغتر بهذه المنزلة وهذه المكانة وإنما كان يخاف لذلك قال إبراهيم التيمى : (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم) فلذلك الإنسان عليه أن يكون حذر وأن لا يغتر .

قال رحمه الله : (فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه) .

الإنسان : يكفر بكلمة والكلمة ليس معناها اللفظة الواحدة الكلمة : معناها الكلام لأن الكلمة فى لغة العرب تطلق على الكلام الكثير , كما قال تبارك وتعالى : { ألم تركيف ضرب الله مثلا ً كلمة طيبة } ما هى الكلمة الطيبة ؟

هى "لا إله إلا الله " وهى كلمة واحدة أم كلمات ؟

كلمات . وكذلك قال تعالى : [حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيم تركت كلا إنها كلمة هو قائلها] والنبى صلى الله عليه وسلم قال : أصدق كلمة قالها شاعر , كلمة لبيد ألا كل شئ ما خلا الله مازاد على ذلك . وفى رواية فى " تهذيب الآثار للطبرى " : (وكل نعيم لا محالة زائل) الحديث عن أبى هريرة يعنى الشيخ يقول : قد يكفر الإنسان بكلام , ومرادهـ من هذا أن أسباب الردة كثيرة وأن موجبات الكفر كثيرة , قال الله تعالى عن الرجل من المنافقين لما قال : ما أرى قُرَّاءنا هؤلاءٍ إلا أرغبنا بطوناً , وأكذبنا ألسنة , وأجبناً عند اللقاء ! فرُفع ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم , إنما كنا نخوض ونلعب فقال : { أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين } رواهـ الطبرى فى التفسير .

وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة فى " مسند أحمد " [إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً فى النار] .

قال رحمه الله : [وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل] لا يعذر بالجهل من أى جهة ؟

من جهة الإنكار عليه أو فى التغليظ فى الإنكار عليه . وإلا فإن مجموع كلام الشيخ يدل على أنه يعذر الجهال وإذا أردت أن تقف على هذا فقرأ كتاب

" ....." فيه منهج الشيخ فى التكفير , ومن مشاهير أقوله : (وإن كنا لا نكفر من عبد الصنم الذى على قبر الجيلانى لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف أكفر من لم .....).

قال رحمه الله : (وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما يظن المشركون).

ماذا ظن المشركون ؟ كانوا يفعلون ويقولون أشياء يحلفون بغير الله يستعينون بغير الله , يذبحون لغير الله يظنون أنه هذا مما يقربهم إلى الله قال تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فظنوا أنهم بعباداتهم القولية والفعلية أنهم يتقربون بهذا إلى الله .

{ وهو يظن } : أى يعتقد , يظن أن هذه الكلمة التى تكلم بها وهى من كلام الكفر يظن أنها تقربه إلى الله كما يظن المشركون .

{ كما يظن المشركون } : يريد به قوله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) , فهذه الكلمة كلمة كفر قالوها وهم يظنون أنهم بهذا يتقربون إلى الله .

{ يظن أنها تقربه إلى الله } : قال تعالى : [قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً] . وقال تعالى :

[أفمن زين له سوء عمله فرآهـ حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء] . وقوله تعالى :

[وجوهـ يومئيذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية] , إذاً الإنسان الجاهل قد يتكلم بالكفر ويأتى بالأفعال الكفرية وهو يظن أن هذه الأفعال تقربه إلى الله تعالى .

قال رحمه الله : [خصوصاً إن <u>أله.....</u> الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين :

[أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة].

هذا أيضاً من الأدلة فى أن الإنسان قد يتكلم بكلام يظن أنه يقربه إلى الله وهذا الكلام يخرجه عن الإسلام .

وقوم موسى عليه السلام كافرين بفرعون وبدينه مروا على قوم يعبدون على آلهة يعتكفون على أصنام لهم فظنوا أن هذا من الأمور المحمودة فقالوا لموسى : [أجعل لنا إلهاً] فهذا الأمر خفى عليهم .

وكذلك قصة مسلمة الفتح فى حديث أبى واقد الليثى , وهاتان القصتان تفيدان أن الموحد قد يخفى عليه شئ من الشرك .

ففى هاتين القصتين السبب الذى جعل هؤلاء وهؤلاء يتلفظون بهذا هو الجهل , ولذلك الإنسان إذا جهل أمر التوحيد وجهل أمر الشرك لا يؤمن عليه أن يواقع شئ من الشرك ويخالف التوحيد .

[مع صلاحهم وعلمهم أتوهـ قائلين] , ليس المراد أنهم علماء , المراد أنهم معهم شئ من الصلاح ومعهم شئ من العلم , إلا لوكانوا علماء ما خفى عليهم هذا الأمر .

[فحينئذ] : متى ؟ إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة , وإذا عرفت أن الموحد قد يخفى عليه شئ من أمر التوحيد وشئ من الشرك . [يعظم خوفك] الشيخ يقول لك :

إذا عرفت ماسبق وتقرر عندك فحينئذ يعظم خوفك .

[خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله] : " ما " :ـ موصولة بمعنى الذى .

[من هذا] : إشارة إلى الكلمة وإلى مواقعة الشرك وأنت لا تدرى .

[أمثاله] : أى الأقوال والأفعال الشركية جميعاً . ,,, ما الذى يخلصك من هذا وأمثاله ؟ العلم النافع الذى تعرف به التوحيد من الشرك ؟ , الخوف من الشرك له أثر وله دليل , فربما الإنسان قال :

أنا أخاف الشرك وأرغب فى التوحيد , ولكن ما هو الدليل على صدق هذهـ الدعوى ؟ الخوف من الشرك دليله أن يسعى العبد فى تعلم التوحيد وتعلم الشرك حتى لا يخاطر بدينه ولا بنفسه , فإلانسان إذا عَرِىَ من العلم هذهـ مخاطرة لأنه ربما يتكلم بالكفر وهو يظن أنه يقربه من الله , يوقع الشرك وهو يظن أنه يقربه من الله .

فالإنسان إذا خاف من الشرك وعلم أضرارهـ أنه الذنب الذى لا يغفر وأن صاحبه من الخالدين فى النار وإلى غير ذلك من الأثار المترتبة عليه .

قال رحمه الله : [اعلم أن الله سبحانه من حكمته]

حمكة الله وضع الأشياء فى مواضعها الموافقة للغايات المحمودة . فحكمة الله اقتضت ....

قال رحمه الله : [لم يبعث نبياً] : نبياً نـــــــــــكرة فـــــى سياق النـــــــفى تفيد العمـــوم .

قال رحمه الله : [بهذا التوحيد] : توحيد العبادة ـــــ [إلا جعل له أعداءً] .

وهذه كما يقول أهل العلم هذه حقيقة تاريخية من أنكرها أو جحدها عليه أن يراجع التاريخ وأعظم كتاب فى تدوين التاريخ هو القرآن الكريم .

قال رحمه الله : (قال الله تعالى :

[وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً]

من أين تأخذ العموم ؟

من " كل " وكذلك من صيغ العموم : كافة وقاطبة وجميع .

وفى الصحيح من حديث عائشة لما ذهبت خديجة رضى الله عنها إلى ورقة بن نوفل وكان ممن أوتى شئ من علم الكتاب قال : (هذا الناموس الذى نزَّل الله على موسى ياليتنى فيها جذعاً ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى عليه وسلم : أو مخرجى ؟ قال : نعم لم يأتى رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ...) .

{ رجل } : نكرة فى سياق النفى تفيد العموم .

وقال تعالى فى آية أخرى : [وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً] .

عداءُ أعداِ الرسل للرسل وأتباعهم هذا يكون بأمرين , وهذان الأمران تندرج تحتها جميع أنواع العداء :: ـ

1/ التشكيك : وهذا يكون بإشاعة الأكاذيب وتلفيف التهم وغير ذلك على الحق وحملة الحق .

2/ العدوان : يكون بالسب والشتم والضرب والقتل والطرد والتنكيل وهكذا .

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله : [أن الله قال فى مقابل التشكيك : (وكفى بربك هادياً)] هادياً أن أراد المجرمون إضلاله , وفى مقابل العدوان قال : [ونصيراً] أى لمن أراد المجرمون إيزاءه بأنواع الأذى] .

{ شياطين الإنس والجن } : الشيطان مأخوذ من شطن إذا بعد عن الحق وتمرد على الحق وأهله . نقول :

شطن زيدٌ عن داره أى بعد عن داره , وإذا قيل لأحد الناس: هذا شيطان معناه أنه بعد عن أخلاق الناس وتخلق بأخلاق الشياطين .

ابن كثير رحمه الله قال : [ولهذا يسمون كل ما تعدد من جنى وإنسى وحيوان شيطان] ـ فى التفسير (1) : كل من خرج ظبره بالشر (2) . .....

الأنس فيهم شياطين وهم متمردون عن الحق وأهله ـ فى مسند الأمام أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أباذر تعوذ بالله من شياطين الأنس والجن ؟ فقلت : أو للإنس شياطين ؟

قال : " نـــعـــم " .

وكذلك الجن فيهم شياطين كما هو معلوم ــ وهم المتمردون عن الحق وأهله . وهؤلاء هم أعداء التوحيد الذين تمردوا على التوحيد وأهله من الجن والأنس .

[يوحى بعضهم إلى بعض] : " الإيحاء " : هو الإلقاء الخفى .

" الزخرف " : فى الأصل الذهب , قال تعالى : { ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون * وزخرفاً وأن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين } .

يقال : زخرف القول : أى زينه وزورهـ .

زخرف القول : يعنى هو الكلام المزين المزخرف , القول المزخرف يضر الناس والقول المزخرف هو الباطل الذى يغلف شئ من الحق , لأن الباطل إن كان مكشوفاً ماقبله أحد .

وذلك أعداء التوحيد يزخرفون أقوالهم ليغروا الناس أى ليخدعوا الناس .

حكمة الله فى أنه جعل لكل نبى عدواً , الإبتلاء والإمتحان ليميز الله الخبيث من الطيب كما قال تعال : [ولو يشاء الله لا نتصر منهم ولكن لبلوا بعضكم ببعض] وقال : [آلم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنى الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين] .

وحتى يتبين الصادق من الكاذب , ويتبين صبر الصابر وثباته على الدين . قال ابن القيم رحمه الله :ـ والحق ممتحن ومنصور(1) فلا **** تعــجب فهذه سنة الرحمن

وبذاك يظهر حزبه من حربه ***** ولأجل ذاك الناس طائفتان

[1] قال ابن عثيمين رحمه الله فى شرحه " : الحق منصور وممتحن .....

قال رحمه الله : (وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج)

أراد بهذه الجملة أن يبين أن أعداء التوحيد لهم شبه يتعلقون بها ولهم كذلك علوم يحتجون بها .

{وقد يكون } : هذا يفيد أن أعداء التوحيد صنفان :

1/ الجهله المقلدة فلا حجة ولا بينة وإنما هو محض التقليد والإتباع للإباء والأجداد .

2/ أناس عندهم معارف وعندهم علوم ينصرون بها باطلهم ويدفعون بها الحق . هذا التقسيم من أين إستفدناه ؟ من قوله [وقد يكون] فقد يكون وقد لا يكون .

لماذا حض التوحيد ؟ لماذا لم يقل : اعداء الدين عموماً ؟

لأن التوحيد هو اللب والأساس والأصل فمن عادهـ عادى بقية الشرائع وهذا ظاهر , فالذى يعادى التوحيد لا يقبل السنن .

[قوله علوم كثيرة وكتب وحجج] : وهل هى علوم كثيرة وكتب وحجج حقاً ؟ لا إنما هى حجج وعلوم عند من يحتج بها أما أنها فى نفسها فلا , ما هى بعلم ولا بحجة والنبى صلى الله عليه وسلم سمى أهل الباطل دعاء قال :

(دعاة على أبواب جهنم) وقال : [أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلين] , فسماهم أئمة ولكن هم أئمة فى الضلال .

قال رحمه الله : [كما قال تعالى : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم)] .

يعنى عندما جاءتهم رسلهم بالحقائق البينة والعلم النافع فرح أعداء الرسل وهذا فرح مذموم لأنه فرح بغير ما يرضى الله قال تعالى فى فرح أهل الإيمان : [والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليهم] ـ سبحان الله ـــــــ أولئك يفرحون بما أنزل وهؤلاء يفرحون بما معهم من حثالة الأذهان وزبالة الأفكار . فهم فرحوا بجميع الذى عندهم من العلم الفاسد علم الضلال .

مراد الشيخ بهذا تنبيه طالب العلم للتأهب لأعداء التوحيد , ويتأهب بأن يكون على دراية شبههم ومعه من العلم ما يدفع به هذه الشبه , فهذا هو الواجب .

بعض المخبولين يقول : أن أكتفى بمعرفة الحق أنا لا يهمنى أن أعرف الباطل .

نقول له : الله جل وعلا قال : (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم) هذا بيان طرق أهل الحق ثم قال : [غير المغضوب عليهم ولا الضالين] ما اكتفى بذكر ما عليه أهل الحق وإنما ذكر طريق أهل الحق ثم عرج على طرق الضلال . وقال جل وعلا : [وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين] .

فلا بد من بيان سبيل المجرمين وبيان سبيل المؤمنين .

قال حذيفة رضى الله عنه : { كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى} . والأنبياء جاءوا لبيان الخير والشر قال صلى الله عليه وسلم : [ما من نبى بعثه الله إلا كان حق عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم] , والنبى صلى الله عليه وسلم قال (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عيها بالنواجذ) قال بعدها (وإياكم ومحدثات الأمور) يبين للناس الخير وبين السنة وحض عليها وحذر من البدعة ونفر منها , ولكن أبى المبطلون إلا أن يحيدوا عن صراط الله المستقيم .

فإذا بين حال الحزبيين قال لكـ : انشغل بم ينفعك مالك ومال الناس ؛ يعنى يأتيك فى صورة الناصح يتكلم ويظن أنه يحسن صنعاً .

قال رحمه الله : [إذا عرفت ذلك] .

الإشارة إلى أن هؤلاء الأعداء لهم كتب وعلوم ولهم حجج يلبسون بها على الناس ويقلبون بها الحقائق يجعلون الشرك توحيد والتوحيد شرك والسنة بدعة البدعة سنة .

قال رحمه الله : (وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من إعداء قاعدين عليه).

هنا أعاد ما قررهـ سابقاً , والفائدهـ من هذه الإعادة التأكيد لك هذا الأمر حتى يعظم خوفك وحرصك على تحصيل ما تدافع به عن نفسك وتحمى به دينك ثم تحمى وتذب عن الدين .

تأمل إلى قوله : [لابد] : لأن هذا هو الذى إقتضدهـ حكمة الله لذلك قال لك : لا بد من حصول هذا الشئ قال تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً) .

{الطريق إلى الله } : يعنى الصراط المستقيم ..... هو الموصل إليه كمال قال تعالى : [وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوهـ] أى هذا الذى يوصلكم .

{ قاعدين عليه } : قعدوا على الطريق على الصراط يريدون أن يحرفوا الناس عنه ويمنعوا الناس من المرور فيه .

قال رحمه الله : [أهل فصاحة وعلم وحجج] كما قـــــــــدم .

[أهل فصاحة] : أى أهل بلاغة وحسن عبارة , ولهم علوم وحجج وزخارف . فعلومهم وحججهم هى الشبهات التى يبثونها .

إذا عرفت هذه المقدمات قال رحمه الله : { فالواجب عليك أن تعلم من دين الله }

الواجب فى هذا المقام واجبات فى مقام التوحيد :

1ـ الواجب الأصل : وهو علم التوحيد ومعرفة ما جاء فى كتاب الله والسنة بما يتعلق بأمر الإعتقاد .

2ـ الواجب العارض : وهو أن تعْرُض لك شبه فى باب التوحيد والإعتقاد تخشئ على عقيدتك وتوحيدك بسببهما فيجب عليك هنا أن تستنير بالعلم الحق الذى تدفع به هذهـ الشبه .

{ من دين الله } : من هنا تبعيضية , لأن العلم منه ما هو واجب عينى ومنه ما هو واجب كفائى , والشيخ أراد الواجب العينى .

قال رحمه الله : (ما يصير سلاحاً لك) :

[ما] : موصوله بمعنى الذى . والعموم هنا ليشمل العلم الذى يقرر به الحق والعلم الذى يدفع به الشبهات ــ يدفع به عن الحق .

قال رحمه الله : (تقاتل بـــــه) :

أى تقاتل بالعلم . تقاتل به طلباً أم دفعاً ؟ تقاتل به طلباً ودفعاً . طلباً أى أنك تقرر بعلمك هذا الحق فى الناس , ودفعاً أى أنك تدفع الشبهات عن هذا الحق .

قال رحمه الله : { هؤلاء الشياطين } :

هم أعداء التوحيد ,الدليل على تعميتهم بالشياطين قوله تعالى : [وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن] .

قال رحمه الله :[الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عزَّ وجل : (لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم)] .

هذه مقالة إبليس . { صراطك } : منصوبة بنزع الخافض كما يقول النحويون والتقدير [لأقعدنَّ لهم على صراطِك المستقيم] . وابن القيم يقول : (القاعدة على الشئ ملازم له) أى أنه يلازم القعود على الصراط .

وهذا هو الدليل على أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه . وهل الشيطان يقعد وحدهـ ؟

لا , لـــــــــه جنود , يبـــث جنودهـ قال تعالى : [شياطين الإنس والجن] .

قال رحمه الله **: (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)**

{من بين أيديهم } : المراد به الآخرة , بأن يلبس عليهم فى أمرها .

{ومن خلفهم } : من جـــهة الدنيـــا .

{وعن أيمانهم } : من جـــــــهة الخـــير .

{وعن شمائلهم } : من جـــــــــهة الـــشـــر .

حتى من جهة الخير قد يأتيك بفتح لك باب من أبواب الخير وينشطك عليه ليفوت عليك ماهو أعظم منه .

مثلاً : يعظم فى نفسك الرغبة فى قيام الليل فتقوم الليل ثم تنام عن صلاة الفجر . فيرغبك فى فعل المستحبات على حساب ترك الواجبات .

{ولا تجد } : لا : نافية , الفعل المضارع يفيد الإستمرار والتجدد , يعنى متى نظرت إليهم تجد أن الأكثرية ليست شاكرة .

قـــال صلى الله عيله وسلم : [لا تزال طائفة من أمتى ....] الحديث,,, قوله : (لاتزال) : هذا مضارع يفيد الإستمرار والتجدد .

قال رحمه الله : [ولـــكـــن]

أى : ومهما يكون من عداء من هؤلاء الشياطين لكـــ أنـــت أيـــها المـــــوحـــد .

قال رحمه الله : [إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيانه] .

يعنى يقول لك : يا أيها الموحد يامن عرفت ما سبق يا أيها الخائف على توحيدهـ إنك إن سلكت أمرين لن تضل وستبقى على توحيدك وتمسك به وهما :

1/ اللجو إلى الله والتوجه إليه بالدعاء ذلاً وإنكساراً أشار إليه بقوله : [إذا أقبلت على الله] .

2/ طلب العلم النافع بدراسة التوحيد أصولاً وفروعاً بـبراهينـــة وأدلته من الكتاب والسنة , هذا أشار إليه بقوله :

[وأصغيت إلى حججه وبـــيانه] .

قال رحمه الله : [فلا تـــخـــف] .

أى على توحيدك أن يذهب .

قال رحمه الله : [ولا تـــحـــزن] .

أى لا تحـــزن إذا أتــتك الشبهات .

قال لك : لا تخف ولا تحزن لماذا ؟

أولاً : لأنـــك قـــــــد لـــجـــأت إلـــى ركـــن شـــديـــد .

ثانيـــاً : معـــــــــــك العـــــــــــــــلم .

قال رحمه الله : [إن كيــد الشيطان كان ضعـــيـــفاً]

الـكيد معناهـ المكر , والمكـــر معنـــاهـ إيـــصال المـكروهـ إلى الغير بطريق خفى . وهذهـ الجملة مؤكدة بمؤكدين :

1ـ " إن "

2ـ " جـمـــلة " كان ضعيفاً : جملة خبرية دخلت على جملة " إن كـيد الشيطان " .

فزادتها توكيداً هكذا يقول أهل العلم ـ " كان ضعيفاً " :ـ إخباراً عـــــــن كيدهـــم .

هذه الآية أوردها الشيخ للتدليل على ضعف حجج أهل الباطل , وجهه :

إن كان الذى يمدهم بالكيد الذى يمدوهم به قال الله عنه : [إن كيد الشيطان كان ضعيفاً]

فإن كان هذا كيد المعلم فما ظنك بكيد التلميذ ؟

والحمد لله أهل الباطل مهما كادوا لا يستطيعون مقاومة الحق قال تعالى :

[بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون] وقال تعالى : [قال إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب] [قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد] . وقال تعالى :

[ليحق الحق ويبطل الباطل ولوكرهـ المجرمون] , [وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً] .

[أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أومتاع زبداً مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال] .

{فأما الزبد فيذهب جفاءً } :

هذا البـــــــــاطل بـــشـــبـــهاتـــه .

{ وأما ما ينفع الناس } : من الحق والعلم النافع , ما كان لله يـــبـــقـــى وما كان لغير الله زال واضمحل .

قال رحمه الله : [والـــعامى من الموحدين] :

العامى هو من لا درية له بالأدلة ولا بالتفاصيل كلها .

قال رحمه الله :

[يـــــغـــلب الألـــف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى : (وإن جندنا لهم الغالبون)] .

إذاً الموحدون ينقسمون إلى أقسام :

1ـ عـــــــــــوام .

2ـ خـــــــــــواص .

3ـ خـــاصة الخـــاصة .

الخواص هم طلبة العلم ,,,,,,,,,,, خواص الخواص هم العلماء ,,,,,,, الغلبة من جهتين :

1/ الغلبة بالقدر والوزن :

ومعنى هذا أن الموحد وإن كان عامياً فوزنه ومقدارهـ عند الله أعظم من علماء المشركين .

2/ الغلبة بالنصر والتأييد :

فالموحد مؤيد ومنصور سواء أكان فى ميدان الحجة والبرهان أوكان فى ميدان القتال والطعان .

{ يغلب الألف } : الشيخ لم يريد العدد وإنما يريد الإشارة إلى كثرة العدد , وهذا فى القرآن قال تعالى :

(إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) .

هل المقصود أنه إذا استغفر لهم إحدى وسبعين مرة هل سيغفر لهم ؟

لا , لأن المقصود أنك وإن أكثرة بالإستغفار لهم فإن الله لن يغفر لهم . وهذا واضح العامى من الموحدين عندهـ أصول هو ثابت عليها وإن كان لا يحفظ أدلة هذه الأصول فالعامى له أصول محكمات وقواعد كليات يتمسك بها مثلاً : يعرف أن معنى " لا إله إلا الله " : أنه لا يستحق أحد غير الله العبادة , وأن الشرك صرف العبادة لغير الله هو ثابت على هذا مهما أورد الخصوم بعلم أن هذا من الشبهات .

والعلماء فى كتبهم يذكرون بعض القصص للعوام قال أحد العلماء :

إن أحد علماء الضلال يحاول أن يناقش عامى من الموحدين قال له : قال الله : [ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون] . يريد من قوله " أحياء " و" يرزقون " : أنهم طال ما أنهم أحياء يدعون ويطلب منهم جلب المنافع ودفع المضار ــ فالعامى قال له : الله قال : [يُرزَقون] أم قال [يَرزِقون] .

وكذلك عامى آخر وهذه أوردها الشيخ محمد جميل زينو :

قال عن قوم موسى قالوا له : (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل) فقال :

أن الشاهد فى هذا أن الأنبياء ينفعون ويضرون بقوله : [لئن كشفت عنا الرجز] :

فالعامى قال : قال الله : (لنؤمنن لك) وهذا دليل على أنهم ليسوا مؤمنين إذاً هذه مقالة كفار , فالكفار هم الذين يطلبون كشف الضر من غير الله فإذا آمنوا فإنهم لا يقولون هذه المقالة .
الشاهد من هذا أن العامى له أسلوب .

[(وإن جندنا لهم الغالبون)] :

هذه الجملة مؤكدة بمؤكداتِ :

1ـ " إن " .

2ـ " اللام فى قوله " لــهم " .

3ـ ضمير الفصل " هم " : أصلها [جندنا الغالبون] .

وهذه الجملة فيها حصر لأنها جملة معرفة الطرفين , فحصر الغلبة فى جند الله , وجند الشيطان معناهـ أنهم المهزمون , إن جند الشيطان لهم المهزمون .

قال رحمه الله : [فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان] .

وهذا واضح فإن جند الله يجاهدون الناس بأمرين :

1ـ الحجة والبيان .

2ـ السيف والسنان .

ولهم فى كلى الأمرين الظهور والغلبة , فإن عدم أهل الحق الظهور بالسيف والسنان فهم غالبون بالحجة والبرهان والبيان .

إذاً الجهاد والقتال قائم فى كل حين بين الموحدين والمشركين , وبهذا نفهم قوله صلى الله عليه وسلم : [لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ــ] الحديث . إذا قيل لك : المضارع يفيد الإستمرار والآن لايوجد قتال ؟

نقول : القتال ينقسم كما ينقسم الجهاد , وشاهدنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث فى مكة مدة لا يجاهد ولا يقاتل إلا بالقرآن والله قال له :

(وجاهدهم به جهاداً كبيراً) . هذه الغلبة وهذا النصرة التى وعد الله بها أهل الحق إنما تحصل لهم متى ؟ إذا ..... فيهم شروطها قال تعالى : (ولينصرن الله من ينصرهـ) أما إذا حصل فيها خلل لا يحصل النصر , كما حصل لسادات الأولياء للصحابة فى يوم أحد .

المراد من " الغلبة " : هنا الغالب أى أن الغالب عليهم أنهم يغلبون , وقد تقع لهم الهزيمة لكن العقبة لهم كما قال تعالى : (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) , وقال تعالى :

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) .

.....

.....

.....بين لك أن هناك من لا خوف عليه وهو الذى يُقبل إلى الله ويصغى إلى حججه هذا لا خوف عليه .

[وليس معه سلاح] : هذا فرط فى أى الأمرين ؟ فى الإصغاء إلى حجج الله فرط فى الأمر الثانى .السلاح هنا العلم . هذا الذى يخاف عليه لذلك كان السلف يقولون : [القلوب رقيقة والشبة خطافه] والشبه إنما تسرِ فى من لا علم معه ولذلك حرم العلماء السماع للمبتدعة وكذلك القراءة فى كتب أهل البدع .

قال بعض السلف (1) : [إن من نعمة الله على الشاب إذا تنسك أن يواخى صاحب سنة يحمله عليها] . وأما إذا أراد الأنسان التعبد والتنسك وما وفق لصاحب سنة فإنه يكون عرضه للبدع والضلالات .

ولذلك تجد كثير من الشباب الآن على بدع وعلى ضلالات عظيمة لأنهم ما وفقوا لصاحب سنة , وهم جهلة وبما أن الواحد منهم ينجرف متى ماجاء أحد الناس وألقى عليه بعض الشبهات .

إذاً من كان هذا حاله يخشى عليه .

قال رحمه الله : [وقد منَّ الله علينا بكتابه] .

الشيخ لما بينه فى كلامه السابق على أهمية السلاح للموحد ذكر لك هنا ماذا ؟ أصل السلاح وأساسه .

فهذا الكتاب نعمة عظيمة قال تعالى : [وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناهـ نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم] .

وقال : [آلر* كتاب أنزلناهـ إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد] .

وقال : [إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً] .

وقال : [قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون] .

قال رحمه الله :

[الذى جعله تبياناً لكل شئ] :

يدخل فى ذلك الحق والباطل , فإنه بين الحق وبين الباطل , ولذلك سمى بالفرقان : (تبارك الذى نزَّل الفرقان على عبدهـ ليكون للعالمين نذيراً) .

فسماهـ بالفرقان لأنه يتميز به الحق من الباطل , وهو التبيان لكل شئ , قال تعالى : [ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين] هدىً لهم فى معرفة الحق وهدىً لهم فى مرفة الباطل .

قال رحمه الله : [فلا يأتى صاحب باطل بحجة إلا وفى القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها] .

الله جل وعلا يبين الأشياء جميعاً إما أن يبينها بعينها , أو أنه يجعل الخير مثلاً يندرج تحت قاعدة كلية وكذلك يجعل الشر يندرج تحت قاعدة كلية , فمثلاً تحريم الخمر , حرم هذا من تعيين الأشياء : (إنما الخمر والأنصاب .....) الآية لماذا حرمها ؟

لأنها تفسد العقل,,,,,,,,,, إذاً نأخذ من هذا قاعدة كلية أن كل ما أدخل على العقل الفساد فهو محرم فى الشريعة . وكذلك قال : (والأنصاب) : أى الأصنام , وهم محرمة لأنها تفسد الأديان وتفسد العقائد , كذلك نأخذ من هذا قاعدة كلية أن ما أدخل الفساد والضرر على الناس فى عقائدهم وأديانهم فهو محرم .

من خفية عليه هذه الأمور قال : [فأسلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون] .

<u>قال رحمه الله</u> : [(لا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً)] .

[(إلا جئناك بالحق)] : فى رد هذهـ الشبه وبيان بطلانها .

قال رحمه الله : [قال بعض المفسرين : هذهـ الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل الباطل إلى يوم القيامة] .

وجه العموم أن " مثل " : نكرهـ منفية تفيد العموم . إذاً القرآن هو الذى يريد باطل جميع من يأتى بباطل إما على سبيل التعيين وإما على سبيل الإشارة , وإما على سبيل الإجمال وإما على سبيل التفصيل .

الموضوع

قال رحمه الله : [وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله فى كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون فى زماننا علينا]:

{ وأنا أذكر لك أشياء } : هذا شروع منه رحمه الله فى موضوع الرسالة .

{ مما : أصلها :ـ " من ما " } : من :ـ تبعيضية ؛ { ما } : موصولة بمعنى الذى .

المعنى : وأنا أذكر لك بعض الذى ذكرهـ الله فى كتابه جواباً . وقوله { وأنا أذكر لك .... جواباً } :ـ

فيه إشارة إلى كشف الشبهات وأن كشفها يكون بكتاب الله .

إذاً هذه الأجوبة يريد الشيخ أن يبين بها الباطل الذى تعلق به المشركون فى زماننا .

{ **لكلام احتج به المشركون فى زماننا علينا } : هذهـ** هى الشبهات , إذاً يفهم من هذا أن أهل الباطل فى زمان ومكان يعترضون على الحق بآرائهم وأهوائهم وأن أهل الحق يردون باطلهم بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال رحمه الله : [جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل] , مراد الشيخ من هذا أن الرد على كل مبطل يكون من طريقين :

{1} الطريق المجمل : مراد الشيخ بالمجمل هنا الدليل العام الذى تدخل تحته أشياء كثيرة , أوبمعنىأن المجمل هذا يصلح أن يكون حجة لأشياء كثيرة .

مثاله :

نقول لك ما ثبت كونه عبادهـ فصرفه لغير الله شرك , هذه قاعدة كلية فهذهـ القاعدة تندرج تحتها أشياء كثيرة وهذهـ القاعدة تشهد لها الأدلة العامة : [إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب] .

{2} الطريق المفصل : هو الدليل على إبطال كل شبهة على حدهـ يريد به الدليل الخاص الذى يبطل شبهة الخصم .

مثاله :

إذا قيل لك : الإستعانة بغير الله .

نقول : الإستعانة بغير الله لاتجوز بالدليل المجمل أن الإستعانة عبادة وكل ما ثبت كونه عبادهـ فصرفه لغير الله شرك . وأما بالدليل المفصل ــ دليل يمنع صرف الإستعانة خاصة لغير الله ــ قال تعالى : [وإياك نعبد وإياك نستعين] . إذاً لك أن ترد على صاحب باطل من طريقين مجمل ومفصل .

قال رحمه الله : [أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها] :

قوله هذا فيه أنه يفضل الجواب المجمل على المفصل , لماذا ؟ لأن المجمل بمثابة القاعدة الكلية التى تبطل جميع الشبهات ولذلك كان مفضل عن الشيخ .

وكذلك من وجوهـ تفضلية : المجمل يفهمه العامى وطالب العلم والعالم خلاف للمفصل فلا يفهمه إلا العلماء وطلبة العلم . والمفصل يتعلق بشبهة معينة .

مثلاً :

العامى نقول له كقاعدة كلية : كل ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله لا تجوز , إذا أمسك هذه القاعدة وفهمها وعقلها أفادته فائدة عظيمة إذا جاءهـ رجل حاول أن يصور له الإستعانة والذبح , يقول له العامى : لا طال ما أنها عبادات صرفها لغير الله شرك ــ هذهـ القاعدهـ تواترت الأدلة على إثباتها .

أما المفصل : تأتى لعامى وتقول له : التوكل (وعلى الله فتوكلوا) هذا دليله الخاص وهذهـ الآية فيها قصر ووجه تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل ؛ ربما أنه ما فهم هذا , هذا لايفهمه إلا العلماء وطلبة العلم .

فالشيخ يريد أن يستدل لك أن المجمل هو الفائدة العظيمة لمن عقلها وفهمها .

قال رحمه الله :

[(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الــفتنة وإتبغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله)] .

فى هذهـ الآية وصف الله القرآن أن بعضه محكم وبعضه متشابه وفى آية أخرى بين أن القرآن كله محكم قال تعالى : [آلر * كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير] . وفى موضع آخر بين أن القرآن كله متشابه قال تعالى : [الله نزل أحسن الحديث متشابهاً] كيف الجواب عن هذا ؟

القرآن كله محكم من جهة ألفاظه ومن جهة معانيه لا تجد فيه خلل ولا تناقضاً ولا إضطراباً ولا ركة فى عبارة ولا لفظ مستوحشاً فالقرآن حوى البلاغة كلها .

أما وجه أن القرآن كله متشابه فهو متشابه فى مواضيعه ومضامينه , فهو يشبه بعضه بعضاً فى أمرهـ ونهيه , فتجد أن الأمر بالتوحيد فى كثير من الآيات وتجد أن قصة آدم عليه السلام فى كثير من الآيات وغيرها من القصص .

{ منه آيات محكمات } : يعنى بينه واضحة لا لبس فيها ولا غموض .

{ وأخر متشابهات } : أى أن معانيها خفية .

قوله تعالى : [هن أم الكتاب] : يعنى أصله الذى يرجع إليه , من أشكل عليه شئ ردهـ إلى المحكم من القرآن .

الموفق يجعل المحكم حكم على المتشابه يعنى يفهم المتشابه على المحكم , يرد المتشابه إلى المحكم .

هذه طريقة أهل الحق لا يمكن أن يترك آيات محكمة ويحملها على آية متشابهه .

قال تعالى :

[فأمّا الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابهه منه] : هذه طريقة أهل الزيغ , يتركون المحكم ويتبعون المتشابه , تجد أن كل القرآن يدور فى معانيه على إخلاص العبادة لله جل وعلا وأن الواجب على العباد أن يعبدوهـ بجميع العبادات هذا من الأمور المحكمة فيأتى أحد الناس ومعه دليل غير واضح فيحمل كل تلك الآيات المحكمة البينة الواضحة هذا الحديث الواحدة أو الآية الواحدة المتشابه , وهذا من الضلال .

قال تعالى :

[إبتغاء الفتنة] : يريدون إضلال النـــاس . وقال تعالى :

[وابتغاء تأ ويله] : يأ ولنوهـ على حـــســـب ما يريدونه من المعانى الفاسدة .

والنبى صلى الله عليه وسلم قد حذر من هؤلاء كما سيذكر الشيخ ــ كما فى الصحيح من حديث عائشة رضى الله عنها : [إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فأحذروهم] .

إذاً هذه الآية تبين لك طريقة أهل الحق وطريقة أهل الزيغ فى التعامل مع ما اشتبه عليهم أمرهـ .

هذا وجه إستدلال الشيخ بهذهـ الآية على الجواب المجمل , ما مـــــــــعـــــــــنى هـــــــــذا ؟

معناهـ : الشيخ يريد أن يقول لك : الثوابت فى أمور التوحيد بمنزلة المحكم من القرآن , والشبهات التى تضرب على الثوابت بمنزلة المتشابه فهل ننقض الثوابت ونبطلها بالشبهات ؟ لا , إن فعلنا ذلك نكون من أهل الزيغ والضلال , والصواب أن نرد هذهـ الشبهات إلى الثوابت كما نرد المتشابه إلى المحكم , وبذلك يكون الإنسان من أهل الهدى .

قال رحمه الله : [وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فأحذروهم)] .

إذاً الإنسان يحذر من أهل الباطل فلا يسمع منهم ولا كلمة لهذا الحديث .

قال رحمه الله : [مثال ذلك] : الشيخ يريد أن يورد لك مثالاً .

قال رحمه الله : [إذا قال لك بعض المشركين : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وأن الشفاعة حق , وأن الأنبياء لهم جاهـ عند الله] .

هذا يريد أن يصوغ عبادة غير الله وأن يطوى تحت هذهـ الآية العقائد الفاسدة ولا متمسك لهم فيها .

قال رحمه الله : [أو ذكر كلاماً للنبى صلى الله عليه وسلم] .

مثلاً قوله : (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلات فليقل يا عباد الله احبسوا) .

قال رحمه الله : [يستدل به على شئ من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذى ذكرهـ] لا تفهم معنى الآية التى ذكرها أومعنى الحديث الذى ذكرهـ وهل هو صحيح أم ضعيف لكنك أنت على يقين على ثوابت عندك قاعدة تقف عليها .

قال رحمه الله : [فجاوبه بقولك : إن الله ذكر فى كتابه أن الذين فى قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه . وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرؤن بالربوبية , وأن كفرهم بتـعلقهم على الملائكة والأولياء مع قولهم : (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناهـ]

يعنى يقول لك : أنه إذا ذكر لك هذه الآية وأن الشفاعة حق وأن الأنبياء لهم جاهـ ماذا يريد ؟ يريد أن يقول لك فلذلك نحن نعبد هؤلاء الملائكة ونعبد هؤلاء الأنبياء نريد منهم الشفاعة وطال ما أنهم عندهم جاهـ نريد أن يقربونا إلى الله زلفى . فأنت تقول له : أنت هذا الذى هو عليه هو عين ما كان عليه المشركون والله جل وعلا كفرهم بـتـعلقـهم بالملائكة وغيرهم .

[هذا أمر محكم بين] يعنى كون العبادة يجب أن تكون لله وأن من عبد غير الله فقد أشرك وإنما الأولين إنما عبدوا غير الله يريد القرب ويريدون الشفاعة هذا أمر محكم بين .

إذا كنت تفهم معنى الكلام الذى ذكرهـ نبين له وجه بطلانه وبهذا نكون رددنا عليه بالجواب المفصل .

قال رحمه الله : [وما ذكرت لى أيها المشرك من القرآن وكلام النبى صلى الله عيله وسلم لا أعرف معناهـ ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض] .

لقوله : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً) .

قال رحمه الله : [وأن كلام النبى صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله] .

لا يمكن أن ينهى الله عن شئ ويبين أنه شرك ويأتى النبى صلى الله عليه وسلم فيبيح هذا الشئ ويقول له إنه توحيد.

قال رحمه الله : [وهذا جواب بيِّن سديد ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله فلا تستهين به فإنه كما قال تعالى :

{ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظٍ عظيم } .

{وما يلقاها إلا الذين صبروا } ما المراد من هذا ؟ مرادهـ الدفع بالتى هى أحسن , الشيخ الآن يقول لك : إن هذا الجواب المجمل من الدفع بالتى هى أحسن كما قال تعالى { إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى وحميم وما يلقاها إلا الذين صبروا ..... } .

ما يلقى ما ذا ؟ صفة الدفع بالتى هى أحسن . وهذا ظاهر أن الشيخ رحمه الله يفضل الجواب المجمل .

الشر نزله منزلة الشبهات والدفع بالتى هى أحسن أى أن يدفع بالمجمل وأن التوفيق بالتى هى أحسن هذا لا يوفق له إلا أهل الصبر وإلا من خصهم الله بحظ وافرمن الفهم لكتابه جل وعلا .

قال رحمه الله : [وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم إعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه] .

هذهـ الإعتراضات هى الشبهات . يعترضون على أى شئء ؟ على دين الرسل , يعنى هم إذا إعترضوا ما هى باعتراضات على الشيخ ولا على شيخ الإسلام ابن تيمية ولا على شيخ الإسلام ابن القيم ولا هى إعتراضات على أهل السنة والجماعة وإنما هى إعتراضات على دين الرسل . كأن الشيخ يقول لك : ولو وجد فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لأعترضوا عليه بها , لماذا ؟ لأن الإعتراض على كتاب الله وعلى سنته إعتراض عليه .

[يصدون بها الناس عنه] : هذهـ غايتهم . والله الكثير منهم لا يفعل ذلك تديناً وإنما يفعل ذلك إرضاء للناس ويريد المأكل والمشأرب كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) .

"يصدون عن سبيل الله " :ـ بنشر الشبهات والكذب والأباطيل لأن هذا هو الغالب على دين الناس , أنهم يريدون الباطل ولذلك يروجون لهم الباطل ويبحثون لهم عن أدلة بزعمهم أنها تؤيد هذا الباطل , يريدون أن يأخذوا المال .

" الأحبار " :ـ أى " العلماء " ,,,,,, " الرهبان " :ـ أى العباد .

قال تعالى : [ليأكلون] : هذه اللام لام القسم , ويأكلون فعل مضارع يفيد الإستمرار .

قال تعالى : [منها قولهم] :

قوله : (منها) : أى من تلك الإعتراضات , والإعتراضات هى الشبهات .

" من" : هنا للتبعيض , والشيخ أتى بأكبر شبهاتهم , وما أتى بكل الشبهات لقوله :[منها] .

الشبهة الأولى

قال رحمه الله : [نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحدهـ لا شريك له , وأن محمداً عليه السلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أوغيرهـ ولكن أنا مذنب , والصالحون لهم جاهـ عند الله وأطلب من الله بهم] , هذه هى الشبهة الأولى .

مرجع هذه الشبهة : الجهل بحقيقة الشرك , فالشرك عندهم أن تجعل لله نداً فى الربوبية وهذا واضح فى قولهم : (نحن لا نشرك بالله بل نشهد ....) وهذا أيضاً يدل على أنهم ظنوا أن التوحيد المراد توحيد الربوبية .

وكذلك ما الشرك عندهم ؟ أن تعتقد أن أحداً غير الله يخلق أويرزق .... , أما إن صرفت العبادة لغير الله وأنت تعتقد أن لا أحداً غير الله يخلق أويرزق .... فأنت عندهم موحد .

(ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاهـ عند الله وأنا أطلب من الله بهم) هذا يريدون أن يبرروا به صرف العبادة لغير الله .

*ومرادهـ بقوله (أنا مذنب) : أن المذنب لا يمكن أن يصل إلى الله إلا بواسطة .

*ما الذى يحصل لهم بهذهـ الواسطة ؟ : يحصل لهم التقرب إلى الله والشفاعة ما الواسطة ؟ الصالحون

* ماذا يستفيدون من هذا الجاهـ ؟ التقرب لله والشفاعة عند الله .

*ماذا الذى يجب عليهم أن يفعلوهـ إتجاهـ الصالحين حتى يحصل لهم القرب إلى الله .

بالتقرب للصالحين , كيف يتقربون إليهم ؟ بعبادتهم , وهذا معنى قولهم : (وأطلب من الله) أى يطلب من الله القرب والشفاعة . قولهم : (بهم) أى بواسطتهم .

متى يتوسطون لهم ــ على إعتقادهم ــ ؟ إذا أرضى هؤلاء الصالحين .

*كيف يرضيهم ؟ يصرف العبادة لهم . وليس المراد من قوله : (بهم) التوسط إلى الله بجاههم , لماذا ؟ لأنه لوكان هذا ما كانوا كفاراً ؛ لماذا ؟ لأنه سأل الله يقول مثلاً : اللهم إنى أسألك بجاهـ فلان أن تشفينى , هو سائل الله ولكنه جعل هذا الجاهـ وسيلة , هذا بدعة .

وقوله : (بهم) : أنهم صرفوا لهم العبادة . إذاً اللآن هـذهـ شبهتهم .

***كشــف الشــبهة : قال رحمه الله : [فجاوبه] : الشيخ اللآن يريد أن يبين لك الطريقة التى تكشــف لك هذهـ الشبهة .**

قال رحمه الله : [بما تقدم وهو : إن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بما ذكرت , ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شئياً , وإنما أرادوا الجاهـ والشفاعة , و اقرأ عليه ما ذكرهـ الله فى كتابه ووضحه] . الذى تقدم أن المشركين الذين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم مقرون بتوحيد الربوبية , فنبين له أن هذهـ العقيدة التى أنت عليها هى ذات العقيدة التى كان عليها المشركون والأدلة على هذا كثيرة وقد تـقدمت .

إذاً أنت تذكر عليه أولاً للأدلة على أنهم يشهدون أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله . ثم تأتى بالعلة التى جعلتهم يتقربوا لغير الله : { أنا مذنب والصالحون لهم جاهـ } .

قال تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ...) .

(ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ...) الآية . (قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ....) . فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل منهم هذا بل كفرهم وقال لهم (قل ياأيها الكافرون) .

إذاً تكفير النبى صلى الله عليه وسلم لهم وقتاله لهم يدل على أنهم ما دخلوا فى الأسلام , وهم مقرون أن أوثانهم لا تدبر شئيا : (ومن يدبر الأمر فسيقولون الله) .

قوله : (ما ذكرهـ الله فى كتابه) : من هذه الآيات التى تدل على أن المشركين كانوا يقرون لله بتوحيد الربوبية , وأنهم عبدوا غير الله بنفس العلة بأن قالوا : [نحن مذنبون والصالحون لهم جاهـ] وكذلك إقرأ عليه الآيات الدالة على هذا .

نقول : هؤلاء الذين يتعلقون بالصالحين هم بين أمرين :

1ـ إما أن يعتقدوا أن هؤلاء الصالحين الميتين أو الأحياء يسمعونهم ويجيبونهم إلى ما أرادوا .
2ـ أو لا يجيبونهم إلى ما أرادوا .
إذا اعتقدوا يكونوا كفار من وجهين : من جهة الإشراك فى الربوبية لأنهم علقوا جلب المنافع ودفع المضار بغير الله , ومن جهة الإشراك فى الألوهية لأنهم عبدوهم .
وإذا اعتقدوا أنهم لا يجيبونهم هذا يسمى جنون لأنه لا يصدر إلا من مجنون , يعنى كون اللآن تسأل أحد شئياً وأنت تعتقد أن هذا الذى تسأله لا يسمعك ولا يجيبك .
ولذلك هم بين أمرين إما أنهم مشركون وإما أنهم مجانين . ولذلك كان كذباً قولهم : إنا نعتقد أنهم لا يضرون ولاينفعون . كذلك من جملة ما يضاف إلى الرد على هؤلاء الذين قالوا : (نحن مذنبون والصالحون لهم جاهـ) : إن كنت مذنباً فلماذا لا تستغفر الله وتطلب منه المغفرة لاسيما أن الله أمرك بالإستغفار ووعدك بالمغفرة وما قال لك إذا أذنبت إذهب إلى فلان وأجعله واسطته بينى وبينك , أين الدليل على هذا :
الله جل وعلا يقول : [ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله] ما قال يذهب إلى فلان , وقال جل وعلا: [وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى] , وقال جل وعلا : [قل ياعباد الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا] ما قال (من رحمة الناس) قال الله سبحانه [لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم] .
وقال تعالى : [فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً] . هذه من نوح عليه السلام لقومه الذين هم أهل الشرك ما قال لهم : إجعلوا واسطه لأنكم مذنبون .
وكذلك قولهم : (والصالحون لهم جاهـ) :ـ
نقوله له : هؤلاء لهم جاهـ ــ لو سلمنا لك ــ فما علاقتك بهذا الجاهـ فجاههم وصلاحهم وعملهم ولهم وأما أنت فليس لك إلا عملك الصالح فالنبى صلى الله عليه وسلم قال :
(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث) هل فيها التعلق بجاهـ زيد أوجاهـ عَمْر , وقال جل وعلا :
(كل نفس بما كسبت رهينة) هل قال : يـكـسـب غيرهـا ؟
فكونهم لهم جاهـ هذا كسب الغير , وكسب الغير أنت لا تنتفع به , وإنما تنتفع بكسبك والله جلا وعلا قال :
(واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولدهـ ولا مولود هو جاز عن والدهـ شئياً) وقال :
(يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) وقال : <u>(فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً)</u> س ؟ , وقال النبى صلى الله عليه وسلم :
{ يا فاطمة بنت محمد سلنى من مالى ما شئت فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً } .

والله جل وعلا عندما تكلم عن الأولياء قال : [ألا إن أولياء الله] ما قال هم أولياء الناس فالناس وليهم الله كما قال تعالى : [الله ولى الذين آمنوا] وقال : [إن ولىّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين] .

وقال : (إلا إن أولياء الله) فهؤلاء لما تولوا الله بالطاعة والعبادة عاد نفع ذلك إليهم لا إلى غيرهم قال تعالى :

[لا خوف عليهم] , الآن نفع صلاحهم ونفع ولايتهم ونفع استقامتهم وعبادتهم عاد إليهم , ما قال لا خوف على من تعلق بهم , وقال : [ولا هم يحزنون] ما قال : ولا يحزن من تعلق بهم , ثم قال : [لهم البشرى] :

ما قال : لمن تعلق بهم البشرى .

فهذا أمر بيّن واضح فهؤلاء يتعلقون بخيط العنكبوت بل بما هو أوهى من خيط العنكبوت كما قال تعالى :

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيتُ العنكبوت لوكانوا يعلمون) .يعنى أنهم تعلقوا بأوهى الأسباب .

ورد هذهـ الشبهة أيضاً يكون بما مضى من القواعد فى القاعدة الأولى .

الشبهة الثانية

قال رحمه الله : (فإن قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام فكيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟

أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً ؟

***مرجع هذه الشبهة ؟**

أن الشرك عندهم هو عبادة الأصنام . فقالوا : نحن نتقرب إلى الله بالأولياء والصالحين وأولئك تقربوا إلى الله بالأصنام , فكيف تجعلون الصالحين كالأصنام وكيف تنزلون علينا الآيات التى تزلت فى الكفار ؟

***كشف هذه الشبهة ؟**

قال رحمه الله : [فجاوبه بما تقدم] .

يعنى ما مضى معك فى الشبهة الأولى , فكأن الشيخ يقول لك إرجع معه قليلاً حتى تتم إقامة الحجة عليه وتزال عنه الشبهة . فلا بد أولاً من أن نسوقه إلى الأقرار بأن المشركين يقرون بالله بالربوبية وأنهم عبدوا غير الله , يريدون ممن عبدوهم القرب والشفاعة وأن الله كفرهم والنبى صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا .

إذا سلم بهذا نقول له :

أنت كذلك عبدت غير الله تريد ممن عبدت القرب والشفاعة فحينها يقول : أن صحيح تقربت إلى الصالحين وغيرهم وأولئك تقربوا للأصنام وهذا هو الفرق بينى وبينهم .

قال رحمه الله : [ولكن]

يعنى بعد أن تُقررهـ بما تقدم .

قال رحمه الله : { .... ولكن أراد أن يفرق بين فعله وفعلهم بما ذكر , فأذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام , ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : [.....] الأية .

الشيخ يقول لك : إذا ذكر لك ما ذكروا رجع الشرك إلى عبادة الأصنام 5 تقول له :

نحن لا نسلم لك أن الأولين عبدوا الأصنام فقط وأن الآيات نازلة فى عبادة الأصنام فقط فالأمر ليس كما زعمت بل هناك آيات تتعلق بالأصنام وهناك آيات تتعلق بالأولياء وهناك آيات تتعلق بالصالحين وهناك آيات تتعلق بالآنبياء .

[منهم] : أى بعضهم يعبد الأصنام .

[يدعو الأصنام] : أى يـــعـــبد الأصـنـــام .

ونقول له : حتى هذهـ الأصنام هل عبادها لزاتها ؟ الجواب : لا , وإنما كانوا يعبدون الأشخاص الذين كانت الأشكال والتماثيل ترمز إليهم وتدل عليهم وتسمى بأسمائهم كيغوث ويعوق واللات والعزى وغيرهم ممن يعتقدون أنهم أولياء وهذا ما حكاهـ الله عنهم قال :

{ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فأدعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين } .

فالأصنام هذهـ بمثابت الرموز إليهم وضعوها ونصبوها على صورهم ترمز إليهم وتدل عليهم وسموها بأسمائهم . وقال تعالى :

(أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين) فهذهـ الآيات دلت على أن هذهـ الأصنام فالأصل أنهم عباد لله تعالى .

وهذهـ الشبهة الرد عليها بالقاعدة الثالثة من القواعد الأربع .

قوله : [منهم من يدعو الأصنام] : الدليل قوله تعالى :

(أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) وكذلك ما حصل من قوم موسى معه عليه الصلاة والسلام .

قال رحمه الله : [.... (..... وأمه صديقه)] .

الصديقة هى أعلى مراتب العبودية بعد مرتبة النبوة والرسالة قال تعالى :

[ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء .....] .

قال رحمه الله : [(كانا يأكلان الطعام)] .

هذا دليل الحاجة والفقر والضعف ومن كان مكان محتاج إلى غيرهـ لا يصح أن يكون إله معبوداً .

قال رحمه الله : [(ثم اَنظر أنى يؤفكون)] .

يعنى هم مستمرون فى كذبهم وإفكهم من أن عيسى عليه السلام هو الله أو اين الله أو ثالث ثلاثة , فعيسى عليه الصلاة والسلام أول ما نطق وأنطقه الله قال : (إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً) وقال لهم عندما بعثه الله : [يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواهـ النار] .

قال رحمه الله : [(قل أتعبدون من دون الله ما لايملك لكم ضراً ولا نفعاً)] .

فهم عبدوا من لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً فالذى لا يملك الضر والنفع هذا عاجز والعاجز لا يستحق أن يكون إله .

قال رحمه الله : [واذكر قوله تعالى : (ويوم يحشرهم جميعاً)] . يعنى يوم يحشرهم جميعاً , العابدين والمعبودين .

قال رحمه الله : [(ثم نقول للملائكة)] انتبه للقوسين الذى يقول الله جل وعلا .

قال رحمه الله : [(أهولاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك)] . نزهوا الله جل وعلا أن يعبدوا معه وعلى أن يكونوا لـــــــــه شركاء .

قال رحمه الله : [(أنت وليـــنا)] .

فيها قصر ووجه أنها جملة معرفة الطرفين ,,, (أنت) : " ضمير " ,,, (ولينا) : " نكرة مضافة إلى الضمير نا " .

قال رحمه الله : [(من دونهم بل كانوا يعبدون الجِنَّ أكثرهم بهم مؤمنين)] .

لأن الجن هى التى زينة لهم عبادة غير الله فعبدوا غير الله طاعة للجن كما قال تعالى : (ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان) ما عبادة الشيطان ؟ طاعـــــــــــته .

قال رحمه الله : (وقوله تعالى) :

لماذا قلنا (وقوله) : لأنه قال لك قبلها (وإذكر له قوله) . وقوله (هذهـ الواو عاطفة) .

قال رحمه الله : [(وإذ قال الله ياعيسى بن مريم ...)] , مضى الكلام عليها فى القواعد الأربع .

نقول لهم : المشركون أرادوا من عبادة الأصنام القربة والشفاعة إذاً المقصد والهدف واحد , والسبيل إلى ذلك بعادتهم . إذاً المقصد والهدف واحد والسبيل واحد بغض النظر عن هذا المعبود , المهم أنكم إنفقتم فى هذا وهذا هو الشرك الذى حرمه الله بعينه وهو أن يفعل شئياً لغير الله يختص به سبحانه وتعالى . ولا ينظر للذى صرفت إليه العبادة لأن العبرة بالحقائق لا بالمسميات قال تعالى :

[ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً] أهؤلاء أصنام ؟ وقال تعالى :

[ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله] هذه الآية فى المسلمين وأهل الكتاب .

نقول لهم إيضاً : العلة فى كفر مشركى قريش عبادة غير الله فحكم الله عليهم بالكفر والحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً , إذاً من قامت فيه العلة التى قامت فى القريشين , بمعنى أنه عبد غير الله ماذا يحصل له ؟

يلحقه الحكم , ما الحكم ؟ الكـــــــفر .

إذاً عبادة غير الله هى العلة وهذه العلة قد وجدت فى من جعل الأولياء وسائط بينه وبين الله .

وكذلك نقول لهم ــ على التسليم أن هذه الآيات نزلت فى الأصنام ــ :

إن العبرة بعموم اللفظ لا بمخصوص السبب , وبيان هذا نقول لهم :ـ النفاق له أسباب فمن قامت فيه أسباب النفاق تحكم عليه بأنه منافق , وكذلك الإيمان وكذلك الكفر والشرك . والآن نسألهم هل آيات النفاق خاصة بالمنافقين فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ لا يقول هذا عاقل , أو أن آيات الإيمان خاصة فى زمنه صلى الله عليه وسلم , وهل يصح أن من عمل عمل المؤمنين بعدهم لا يكون مؤمناً ؟

الجواب : لا , إذاً لماذا التفريق إذا كنتم تحكمون على أن من عمل عمل المؤمنين بأنه مؤمن وكذلك تحكمون على أن من عمل عمل المنافقين أنه منافق , لماذا لا تحكمون على من عمل عمل المشركين أنه مشرك .

وكذلك أيضاً نقول لهم : إن كثير من الآيات جاءت علته فى كل معبود من دون الله صنماً كان أو حجراً أوشجراً أو عبداً صالحاً أوجناً , نورد عليه الآيات العامة كقوله تعلى :

(والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير) والذين :

" اسم موصول يفيد العموم " يدخل فيها كل من دعى من دون الله " . وقال تعالى :

[ولا تدعوا من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً لمن الظالمين] .

" ما " : موصوله بمعنى الذى تفيد العموم . وقال تعالى :

[قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً] " الذين " : اسم موصول يفيد العموم .

هذا عموماً والعام لايخصص إلا بدليل , فما الدليل على أن هذه الآيات خاصة بمن عبد الأصنام ؟ ما عندهم من دليل .

قال رحمه الله : [فقل له : أعرفـــت] :ـ يعنى بعد أن تسوق له هذا الكلام كله تقوله ....

قال رحمه الله : [أن الله كفر من قصد الأصنام] .

من قصدها بالعبادة وهو يريد بذلك التقرب والشفاعة .

قال رحمه الله : [وكفر أيضاً من قصد الصالحين] . كفر هؤلاء وهؤلاء لإتحادهم فى الفعل وبقيام سبب الكفر فيهم جميعاً .

مراد الشيخ من هذا أن يقول لك : أن من قامت فيه موجبات الكفر , كفر ولو كان نبياً قال تعالى : [ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] . وقال تعالى : [ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون] .

قال رحمه الله : [وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم] :

الله جل وعلا كفرهم والرسول صلى الله عليه وسلم قاتلهم ولم يفرق بينهم , ما قال : من عبد الصالحين هذا مسلم طالما أنه يشهد لله بالربوبية وأنه لا يخلق ولا يرزق إلا الله وأن الشرك محصور فى عبادة الأصنام .

ولوكان كذلك لما قائل من عبد الصالحين ولقصر الأمر على قتال من عبد الأصنام ولما لم يفرق بينهم دل على إستوائهم فى الحكم وهو الكفر . فنقول لهم :

الله لم يفرق بينهم وكفرهم جميعاً فمن أين لكم التفريق ؟ والنبى صلى الله عليه وسلم سوى بينهم فمن أين لكم التفريق ؟

لا يفرق إلا من عارض الله وعارض دين الله وشرعه وعارض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم , ولذلك الشيخ قال لك قبل هذا فى بداية هذه الشبهات : (فإن أعداء الله لهم إعتراضات كثيرة على دين الرسل).

قال رحمه الله : [فإن قال : الكفار يريدون منهم ...]

الشبهة الثالثة

هذه الشبهة الثالثة , وهى نفس الشبهة الأولى , ولكن المبطلون يوردون الشبهة الواحدة بأساليب عدها وألفاظ متنوعة . والشيخ أراد هنا تنبيه طالب العلم لهذا حتى لا يكون حرفياً بمعنى أنه لا يستطيع أن يرد على الشبهات إلا إذا ذكرت بنفس الألفاظ . لذلك تجد أن الشيخ إكتفى بالرد عليها بنفس الشبهة الأولى .

{ يريدون منهم } : أى يريدون منهم جلب المنافع ودفع المضار .

قال رحمه الله : [وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه] .

يدعى أنه لا يريد جلب المنافع ودفع المضار إلا من الله .

قال رحمه الله : [والصالحون ليس لهم من الأمر شئ ولكن أقصدهم] .

يقصدهم بماذا ؟ بالعبادة . إذاً هو وإن إدعى أنه لا يريد إلا من الله لكنه إعتقد أن ما أرادهـ من الله هذا لا يحصل له إلا بالوسائط .

قال رحمه الله : [أرجو من الله شفاعتهم] .

يقول نحن لم نتوجه إلى هؤلاء وإنما نتوجه إلى الله وهؤلاء وسائط لما لهم من الجاهـ والمقدار .

كشـــــــــف الشـــــبهة :

قال رحمه الله : [أن هذا قول الكفار سوء بسواء] : الكفار كذلك يشهدون أن الله النافع الضار المدبر ولا يريدون إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شئ ولكن قصدوهم يريدون القرب والشفاعة ــ فقوله هذا هو عقيدة المشركين .

قال رحمه الله : [واقرأ عليه قوله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)] .

فحصروا صرف عبادتهم لغير الله فى طلب القرب من الله , فكأنهم يقولون : ما عبدناهم لإعتقاد أنهم ينفعون أو يضرون ولا لإعتقاد أنهم يريدون ,,,, ولا نريد منهم شئياً لأنهم ليس لهم من الأمر شئ ولكن قصدناهم نرجو القرب .

قال رحمه الله : [وقوله تعالى : (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)] .

فيريدون صرف العبادة لغير الله بقولهم : (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) .

والقبوريين يعتقدون أن كفر مشركى العرب بسبب أنهم إعتقدوا أن غير الله ينفع ويضر ويدبر الأمر , وهذا إعتقاد باطل قال تعالى : (تالله إن كنا لفى ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) فهذا قول المشركين لآلهتم , فمنهم إعترفوا لله بأنه رب العالمين وأنه لا شريك له فى ربوبيه فالتسوية هنا تحمل على التسوية فى العبادة , فهذه الآية حجة قاهرة .

وقال تعالى : [ثم الذين كفروا بربهم يعدلون] . " بربهم " : هذا دليل على أنهم يعترفون بربوبية الله وبإنفرادهـ بها , إذاً عدلوا غير الله فى أى شئ ؟ بالألوهية .

قال رحمه الله : (واعلم : أن هذه الشبه الثلاث هى أكبر ما عندهم) . الشبهة التى مضت معنا .

" ما عندهم " : ما موصولة يعنى الذى تفيد العموم , يعنى هذه أكبر شبهاتهم .

لماذا كانت هذه أكبر ما عندهم ؟

1/ لكثرة إستعمالهم وإيرادهم لها ــ إقرأ كتاب مجموعة الرسائل والمسائل ــ النجدية .

2/ الشبهات التى تأتى بعدها متفرعة عن هذه الثلاث وتبنى عليها .

وقوله هذا فيه بيان منزلة هذه الشبه الثلاث بالنسبة لغيرها .

والشيخ أراد بها تنبيه طالب العلم لقاعدة عظيمة فى رد الشبهات وهى البداءة بالأصول والمسائل الكبار .

فإذا أردت أن تقطع شجرة تبدأ بالأصل , ولذلك لما إستشار عمر ــ رضى الله عنه أحد الروم أو الفرس أسروهـ لما كان يريد غزوة أحد البلاد فقال له عمر :

بأيهما نبدأ , فقال : إن الروم أو فارس اليوم جناحان ورأس فأعمد إلى الجناح فاقطعه توهى الرأس , فقال له عمر : كذبت ياعدو الله بل أعمد إلى الرأس فاقطعه .

فكذلك هنا إذا إنقطع الأصل تبعه الفرع . قال الله : (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم) .

وكذلك يستفاد من قوله : (هى أكـــبر مـــاعندهم) .

أن الشيخ يقسم الشبهات إلى :

1ـ الشبـــــه الكبيرة .

2ـ الشبـــــه الصغيرة .

***ماضابط كل منها ؟**

الشبه الكبيرة هى التى تقوى وجوهـ مشابهتها بالحق . والشبه الصغيرة هى التى تضْعُف وجوهـ مشابهتها بالحق.

قال حمه الله : (فإذا عرفت أن الله وضحها لنا فى كتابه) .

والشيخ يندندن حول هذا ومرادها أن يبين لك الأصل الذى تندفع به الشبهات هو كتابُ الله , لأنه ما من شبهة وإلا وفى القرآن ما ينقضها .

قال رحمه الله : [وفهمـــتـــها فهـــاً جيداً فما بعدها أيسر منها] .

الشبهة الرابعة

قال رحمه الله : [فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله , وهذا الإلتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة] , مرجع هذه الشبة :

الجهل بمعنى العبادة , فالعبادة عند القبوريين هى الصلاة والسجود والزكاة للأوثان والأصنام ــ وكذلك الحج والصوم ــ فقوله : [أنا لا أعبد إلا الله] : يريد أنه لا يسجد للأصنام والأوثان أما إن دعى غير الله أو حلف أو استعانة أوذبح لغير الله فهذا لا يدخل فى العبادة ــ عندهم ــ لذلك يقول :

(وهـــذا الإلتجاء ..... ليس بعبادة) .

هذهـ الجملة بمثابة الرد على الموحد . يعنى يقول : أنا لا أعبد إلا الله , فالموحد يقول له : فما هذا الإلتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم , فيقول له : هذا ليـــس بـــعـــبادة .

وكلمة الإلتجاء هذه يدخلون تحتها أنواع من العبادات لأن الإلتجاء من معانى الإستعاذة وكذلك الإستغاثة والإستعانة . ,,, (ودعؤهم) :ـ المراد به دعاء المسألة , وهذا الدعاء يجمع تحته أنواع كثيرة من العبادات , فالإستغاثة والإستعانة والإستعاذة أنواع من الدعاء .

دعاء غير الله يدخل فيه الكثير من أنواع العبادة وهذا هو السر فى قول النبى صلى الله عليه وسلم كما فى حديث النعمان بن بشير قال : (الدعاء هو العبادة) . (1) الحديث فى الترمزى وأبى داود وغيرهما .

لأنه يجمع هذه العبادات وهذه المعانى . هذا الحديث فيه مؤكد أداءة التأكيد ضمير الفصل , والقصر وجهه جملة معرفة الطرفين , كأنه يقول : (لا عبادة غير الدعاء) .

كشف الشبة :

قال رحمه الله : [فقل له : أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك , فإذا قال : نعم]

الشيخ هنا يعلمنا طريقة المناظر والرد على الخصوم وكيف تسوق خصمك إلى ما تريد , ووجه ذلك الشيخ يرشد إلى أن تجعل المتفق عليه دليلاً وسبيلاً إلى المختلف فيه , وهذه طريقة القرآن والشاهد على هذا أن الله احتج على المشركين بما أقروا به على ما أنكروهـ . ونظائر هذا فى القرآن كثيرة منها قوله تعالى :

(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين) .

" عند الله " : يعنى فى قدرة الله حيث خلقه من غير أب .

" كمثل آدم " : حين خلقه من غير أب ولا أم .

المتفق عليه : خلق آدم فالنصارى يقرون أن آدم خلق من غير أب ولا أم , وهم جعلوا خلق عيسى من أم بلا أب دليل على أنه ابن الله , فالله كأنما يقول لهم :ـ لماذا ما إدعيتم هذا الإدعاء فى آدم فالذى خلق آدم من غير أم ولا أب قادر على خلق عيسى من باب أولى , وإن كنتم ــ أيها النصارى ــ قد إدعيتم بنوة عيسى لأجل هذا فإ دعاء هذا فى آدم من باب أولى , وإن كان هذا باطلاً ــ يعنى ادعاء هذا فى حق آدم ــ فدعواهم فى عيسى يكون أشد بطلاناً ؟ فسأله : هل أن تؤمن أن الله لما خلقك فرض عليك أن تخلص العبادة له ؟ وأن هذه العبادة التى أنت مطالب بإخلاصها هى حق الله عليك ؟

قال رحمه الله :[فإذا قال نـــــــــــــعم] .

نقول له : صحيح ــ ونورد له شئياً من الأدلة كقوله تعالى : [وقضى ربكم ألا تعبدوا إلا إياهـ] , [وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين] , [قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين] , [إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين] , [قل الله اعبد مخلصاً له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه] , [واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوهـ مخلصين له الدين] , [فادعوا الله مخلصين له الدين ولوكرهـ الكافرون] , [هو الحى لا إله إلا هو فادعوهـ مخلصين له الدين] , [ألا لله الدين الخالص] , هـــــذه الآيات تشهد علينا أن الله فرض علينا إخلاص العبادة له .

وكذلك نورد الأدلة على أن العبادة حق الله علينا , نورد له حديث معاذ ــ رضى الله عنه ــ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : (أتدرى ما حق الله على العباد , وما حق العباد على الله) قال : قلت الله ورسوله أعلم قال : حق الله على العباد أن يعبدوهـ ولا يشركوا به شيئاً .....) الحديث .

الإخلاص معناهـ إفراد الله .....

وبعضهم يقول : تصفية العمل من شعب , أى من كل ما يشوبه .

بعد أن أقر بهذا نقول له : (بين لى هذا الذى فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحدهـ وهو حقه عليك) يعنى بين لنا معنى العبادة ما هو هذا الشئ الذى فرضه الله عليك ؟
ما هذا الذى أمرك الله بإخلاصك له ؟ فإما أن يقول : لا أعرف , وحينها نشرع فى بيانه له ؟ وهذا قد مر ـ
أو أن يقول : هى أن أصوم وأزكى وأحج لله ــ يعنى أنه يحصر العبادة فى بعض صورها , كما أنه حصر التوحيد فى بعض صورهـ ــ وأيضاً إن أجاب بهذا نبين له خطأ مفهم بيان المفهوم الصحيح ــ كما مضى .

قال رحمه الله : (فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له) .
يعنى نقول له : كل ما أمر الله به , أمر إيجاب أو أمر إستحباب أو أثنى على فاعليه أو رتب على فعله ثواب هذا داخل فى حد العبادة وأنواعها كثيرة .
قال رحمه الله : (فبينها له بقولك : قال الله تعالى : [ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين]) .
يعنى الشيخ يقول لك : بين له العبادة وأصطحب معك هذين المثالين .
قال رحمه الله : (فإذا أعلمته بهذا , فقل له : هل علمت هذا عبادة لله , فلا بد أن يقول : نعم , والدعاء مخ العبادة) .
نقول له : ما معنى إخلاص الدعاء لله ؟ معناهـ أن هذا خاص بالله لا يجوز لغيرهـ , قال تعالى : [وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة من دون المؤمنين] .
هذه الآية شاهد على معنى إخلاص , فخالصة لك : أى خاصة بك لا تجوز لغيرك .
إن خصصنا الله بالدعاء فقد وحدناهـ بالدعاء وعبادنا ... , إن جعلناهـ له ولغيرهـ فهذا هو الشرك .
قال رحمه الله : (فقل له : إذا أقررت أنها عبادة , ودعوت الله ليلاً ونهاراً , خوفاً وطمعاً , ثم دعوت فى تلك الحاجة نبياً أوغيرهـ , هل أشركت فى عبادة الله غيرهـ ؟ فلا بد أن يقول نعم ؟)
..... معنى إخلاص الدعاء لله , وهو أننا نفردهـ به ولا نجعل منه شيئاً لغيرهـ .
قال رحمه الله : (فقل له : فإذا علمت بقول الله (فصل ربك وأنحر)) .
ما مقتضى العمل بهذهـ الآية أن يصلى لله ويذبح لله . .....
هم عندهم الصلاة هى العبادة وأنك إذا صليت لله تكون قد عبدت الله وإذا صليت لغيرهـ تكون قد أشركت بالله فالشيخ رحمه الله قرن لهم النحر بالصلاة , فنقول لهم إن صليت لله تكون

قد عبدته وإن صليت لغيرهـ تكون قد أشركت , وإن نحرت لله فقد عبدته وإن نحرت لغيرهـ تكون أشركت به وإلا كيف تفرق والله جمع لك بين الأمرين فى آية واحدهـ .

قال رحمه الله : (وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة ؟ فلا بد أن يقول : نعم , فقل له : إذا نحرت لمخلوق نبى أو جنى أو غيرهما , هل أشركت فى هذه العبادة , فلا بد أن يقول : نعم) .

ـــ وسبحان الله ـــ الله جمع بين النحر والصلاة فى مواضع (فصل لربك وأنحر) , (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) , والنسك : أى الذبيحة إبتغاء وجه الله , قال بعض أهل العلم : (هذه الآية خلصت العبد لربه وما أبغت فيه نصيباً لغيرهـ) .

فظاهر أن الشيخ أختار هذه الآية لكسر تعريفهم للعبادة , فالذى أمر بالصلاة له هو أمر بالنحر له فما الذى جعل الصلاة عبادة وجعل النحر ليس بعبادة .

قال رحمه الله : (وقل له أيضاً : المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟)

يعنى نسأله : هل تعرف المشركون ؟ يقول : نعم أعرفهم , أبو جهل وأبو لهب وكفار قريش .

فنقول له : هؤلاء هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات والعزى وغير ذلك ؟

فلا بد أن يقول : نعم , لما تقدم من الأدلة الدالة على ذلك .

فنقول له : فهل كانوا يصلون للأصنام والملائكة والصالحين ويحجون لهم ويزكون لهم ؟

فإن قال : نـــــــعم .

<u>نقول له : ما الدليل ؟ ليس هناك دليل من الكتاب ولا من السنة يدل على أن هؤلاء كانوا يصلون للأصنام أو</u> يحجون لها .

فليس أمامه إلا أن يقول : " لا " .

فإن قال : لا :ـ "نقول له " :ـ فبأى شئ عبدوهم , بالدعاء مثلاً قال تعالى : (فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) , يشركون فى أى شئ ؟ فى دعوت غيرهـ معه .

والذبح أيضاً وما سميت مناة مناة إلا <u>لكثرة ما يمنى</u> عليها من الدما ء , وفى حديث الرجل الذى نذر أن ينحر إبلاً ببوانة ..... .

وكانوا يحلفوا بغير الله , إذاً شركهم وقع من هذه الجهة أنهم تقربوا بأنواع من العبادة غير الصلاة والصيام والزكاة والحج لغير الله .

فلذلك الشيخ قال له بعد أن أقر أن المشركين كانوا يعبدون الملائكة والصالحين وغيرهم .

قال رحمه الله : (فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا فى الدعاء والذبح والإلتجاء ونحو ذلك , وإلا) .

" وإلا " :ـ إن لم يكونوا قد أشركوا فى الدعاء والإلتجاء ونحو ذلك .

قال رحمه الله : [فهم مقرون أنهم عبيدهـ وتحت قهرهـ , وأن الله هو الذى يدبر الأمر , ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاهـ والشفاعة] . وهـــــــذا ظـــــاهر جداً .

الشبهة الخامسة

قال رحمه الله : (فإن قال : أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبرأ منها ؟) .

مرجع هذه الشـــــــــبة :ـ

الجهل بحقيقة الشفاعة وأنواعها وشروطها .

يتعلق المشركون فى قديم الدهر وحديثه بالشفاعة لتصويغ الشرك وعبادة غير الله والإلتجاء لغير الله .

ملخص هذه الشبهة :

أن من أثبت الشفاعة للرسول صلى الله عليه وسلم لزمه أن يثبت جواز سألها منه ودعاءهـ والإلتجاء إليه . وأما إن من..... سؤاله ودعاؤهـ والإلتجاء إليه فهذا دليل على أنك تنكر الشفاعة .

كشف الشبهة :

قال رحمه الله : (فقل : لا أنكرها ولا أتبرأ منها) .

وهذا فيه أن المبطل إذا جاء بحق قُبل , نقبل الحق ونرد الباطل كما قال الله جل وعلا عن المشركين :

(وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) . فجاءوا بكلمتين إحداها تضمنت الحق والأخرى تضمنت الباطل : فقولهم : " وجدنا عليها آباءنا " : هذا حق . وقولهم : " والله أمرنا بها " : هذا باطل , لذلك رد الله تبارك وتعالى الباطل قال : (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) .

وهذا فيه دليل على ما ألصق بالشيخ وأتباعه من أنهم ينكرون الشفاعة . فالخوارج والمعتزلة ينكرون الشفاعة وإنكارهم هذا مبنى على أصل فاسد عندهم وهو تكفير مرتكب الكبيرة .

والشيخ فى بعض رسائل قال :

[يزعمون أننا ننكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول :ـ سبحانك هذا بهتان عظيم , بل نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الشافع المشفع صاحب المقام المحمود ونسأل الله رب العرش العظيم أن يشفعه فينا وأن يحشرنا تحت لوائه) .

قال رحمه الله : (بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع) .

الشافع : صـــــــــاحب الشـــــفاعة ويؤذن لـــــــــه بـــــها .

المشفع : الذى تـــــــقبل شفاعته إذا شفـــــــع .

قال رحمه الله : (وأرجو شفاعته) :ـ

يعنى أرجو أن أكون ممن يشفع فيهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد قبول ما جاء به هذا المبطل من الحق يكون رد الباطل .

قال رحمه الله : (ولكن الشفاعة كلها لله) .

نقول له : النبى صلى الله عليه وسلم يشفع ونحن لا ننكر شفاعته ونرجوا أن يشفع فينا لكن نسألك سؤالاً : من المالك للشفاعة ؟ الله هو المالك للشفاعة كلها قال تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) .

" الذين " : إسم موصول يفيد العموم فليس هناك أحد مهما بلغ من المكانة والمنزلة يملك الشفاعة ولكن الله إذا أذن لهم شفعوا من غير ملك لهم .

وقال تعالى : [قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عندهـ إلا لمن أذن له] .

نفى الله عنهم الملك مطلقاً والشفاعة داخلة فى هذا . يعنى أن الله مرادهـ أنهم لا يملكون شيئاً ولو كان مثقال ذرة ثم قال : (ولا تنفع الشفاعة عندهـ إلا لمن أذن له) .

إذاً نفى نفع الشفاعة إلا لمن إستثناهـ . قال تعالى : [تبارك الذى بيدهـ الملك] . وهذه الجملة فيها قصر لأن أصلها فى غير القرآن : [الملك بيدهـ] فقدم الجار والمجرور ..... الحصر والقصر .

" الملك " : مفرد معرف يفيد العموم ــ هذا وجه الشاهد ــ فيدخل فى ذلك ملكه جل وعلا للشفاعة .

وقال تعالى : [فسبحان الذى بيدهـ ملكوت كل شئ] هذه الجملة فيها قصر أصلها : [ملكوت كل شئ بيده] فقدم الجار والمجرور لإفادة الحصر .

" كل " : من صيـــغ العـــــموم , والشفاعة داخلة فى هذا .

قال رحمه الله : [(قال لله الشفاعة جميعاً)] .

هذه الآية فيها <u>حصر وجهه</u> أصلها : [الشفاعة لله جميعاً] . إذاً هذه الآية قصرت الشفاعة على الله وهو تبارك وتعالى المالك لها .

بعد إيراد هذه الآيات وبيان وجوهـ الإستدلال منها جرجنا بأى شئ ؟ أن الشفاعة ملك لله .

فإذا قررت هذا عند هذا المبطل نقول له : الواجب عليك طلبها ممن يملكها , لأن طلبها ممن يملكها عبادة لماذا؟ لأنه داخل فى الدعاء , ودعاء غير الله شرك .

ثم نقول له : إذا تقرر عندك أن الشفاعة ملك لله وأن الواجب عليك طلبها ممن يملكها فأعلم أن الشفاعة هذه لا تكون إلا بشروط لابد أن تتوفر فيك حتى تنال هذه الشفاعة . بعد ذلك بدأ الشيخ يبين فى شروط الشفاعة .

قال رحمه الله : (ولا تكون إلا من إذن الله) .

هذا شرط من شروط الشفاعة , إذن الله للشافع أن يشفع .

قال رحمه الله : (كما قال عز وجل : [من ذا الذى يشفع عندهـ إلا بإذنه] .... بالنفى ...

" من ذا الذى " :ـ هذا إستفهام .... . والمعنى : لا أحد يشفع عندهـ إلا بإذنه .

قال رحمه الله : (ولا يشفع فى أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه) .

هذا الشرط الثانى : إذن الله للشافع أن يشفع فى مشفوع معين .

قال رحمه الله : (كما قال تعالى : [ولا يشفعون إلا لمن إرتضى]) .

هذا شرط الرضى عن المشفوع .

قال رحمه الله : [وهو لا يرضى إلا التوحيد] : الشيخ أراد أن ينبه هذا المبطل على شئ : أنك إذا أردتَ الشفاعة عليك بالتوحيد , أما إنك إن بقيت على الشرك فإنك لا تنفعك الشفاعة كما قال تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين] وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة لما قال : من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله قال : [من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه] .

وكذلك حديث أبى هريرة فى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لكل نبى دعوة فتعجل كل نبى دعوته وإنى إختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فإنها نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً .

أما الكفار ما عندهم قال تعالى : (فما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) .

" الظالمين " : المشركون .

قال رحمه الله : [كما قال عز وجل : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه] .

الشاهد : فلن يقبل : أى من يبتغ غير الإسلام ديناً أن يقبل الله منه شئ .

قال رحمه الله: [فإذا كانت الشفاعة كلها لله] :ـ لما تقر أولاً .

قال رحمه الله : (ولا تكون إلا من بعد إذنه , ولا يشفع النبى صلى الله عليه وسلم ولا غيرهـ فى أحد حتى يأذن الله فيه , ولا يأذن إلا لأهل التوحيد . تبين لك أن الشفاعة كلها لله فاطلبها منه وأقول اللهم لا تحرمنى شفاعته اللهم شفاعة فىَّ وأمثال هذا) .

الشبهة السادسة

قال رحمه الله : [فإن قال : النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة , وأنا أطلبه مما أعطاه الله] .

مرجع هذه الشبهة :

الجهل بحقيقة الشفاعة . معنى ما أراد صاحب الشفاعة :

أراد أن يقول : أنتم قد قررتم أن سؤال غير المالك شرك وسؤال المالك لا شئ فيه والنبى صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة فصارت ملكاً له , وله فيها التصرف التام ولذلك أنا أسأله وسؤالى هذا لا يكون شركاً لإنى سألت المخلوق ما يقدر عليه وما يملك .

إذاً حقيقة هذه الشبهة ترجع إلى أمرين :ـ

1ـ النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة , فأصبح بهذا الإعطاء مالك لها .

2ـ جواز سؤاله الشفاعة , لأنه مالك لها .

كشف الشبهة :

قبل أن نشرع فى جواب الشيخ نقول لهذا الرجل : ماذا تريد بقولك النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة ؟

إن كنت تريد بهذا أن الله ملكها له بإطلاق فهذا باطل , فالشفاعة كلها لله وحدهـ وهى ملك له تبارك وتعالى ولا يملكها غيرهـ لا إستقلالاً ولا مشاركة قال تعالى :

[قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض] . وقال :

[قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ... ولا تنفع الشفاعة عندهـ إلا لمن أذن له] .

ونقول له : إن كنت تريد بلإعطاء , الإعطاء المقيد بالإذن والرضى لا المطلق فهذا الحق , والآية السابقة تدل عليه وتشهد لهذا المعنى قال تعالى : [ولا تنفع الشفاعة عندهـ] .

" الشفاعة " : مفرد معرف يفيد العموم يعنى أن شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لا تنفع وشفاعة الإفراط لا تنفع وشفاعة النبيين لا تنفع وشفاعة الصالحين لا تنفع , وإنما تكون نافعة بعد الإذن : [إلا لمن أذن له] .

فالله يأذن لكل من شاء بقدر محدود , وإن قلنا : إن كل من يشفع يلزم من ذلك أنه أعطى الشفاعة بإطلاق , فهذا ليس بصحيح .

وإن قالوا : نعم , نقول لهم : يلزم من هذا تعدد ملاكها وكذلك تعدد المشاركون لله فيها , ثم نقول لهم : من المنفرد بملكها ؟ هذا أعطيها بإطلاق وهذا أعطيها بإطلاق وهذا أعطيها بإطلاق , وهى لله بإطلاق , من المنفرد بملكها ؟ لأنه قد ثبت عندنا أن الملائكة يشفعون , وأن الأنبياء يشفعون وأن الأفراط يشفعون , فهل ثبوت شفاعة هؤلاء دليل على أنهم يملكونها بإطلاق .

ونقول كذلك :ـ مَن مِن هذه الأصناف يملكها بإطلاق ؟

الله جل وعلا ملكَ النبى صلى الله عليه وسلم الشفاعة وهذا التمليك مقيد بالإذن والرضى لاتمليك مطلقاً .

قال رحمه الله : [فالجواب : أن الله أعطاهـ الشفاعة ونهاك عن هذا] .

الإشارة رجعة إلى طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم . ودليل النهى قال الشيخ : [فقال : (فلا تدعومع الله أحداً)] .

ما الحجة فى الآية ؟ " فلا تدعـــــــــو " .

ما وجه الشاهد فيها ؟ طلب الشفاعة نوع من الدعاء ولا يجوز دعاء غير الله بهذهـ الآية .

مراد الشيخ من هذا أنه ما عليك إلا التسليم , فالله أعطاهـ ونهاك عن هذا فهل تعترض أم تسلم وتنقاد ؟ فلايجوز طلبها منه أودعاءهـ وسأله الشفاعة فقد أشرك بالله .

قال رحمه الله : (فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه فى قوله : [فلا تدعو مع الله أحداً]) .

لأن طاعة الله من الأسباب فى قبول الدعاء , كأن الشيخ يقول لك : فأعمل بالأسباب التى توجب قبول دعائك بأن تطيع الله . وهذا فيه إشارة إلى أن من أراد الشفاعة عليه أن يحقق التوحيد لأن قوله : (فلا تدعو مع الله أحداً) معناهـ : [فلا تعـــــــــــبد مـــــع الله أحـــــداً] .

قال رحمه الله : [وأيـــــضاً] : يعنـــــى هذا جواب ثـــــانى .

قال رحمه الله : [**فإن الشفاعة أعطيها غير النبى صلى الله عليه وسلم فصح أن الملائك يشفعون والأنبياء يشفعون والأفراط يشفعون , أتقول :ـ إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم ؟**

هنا الشيخ ألزمـــه بإلزاميـــن :ـ

1/ أن يقول نعم أطلبها منهم , فيقال له : [فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين] لأنهم استعانوا واستغاثوا بغير الله يريدون القربة والشفاعة .

ونقول له : هذا يكذبه الواقع فما رأينا وما سمعنا أن أحداً سأل الأفراط الشفاعة والقرب إلى الله , هل سمعت أحداً يقول : بالأفراط إشفعوا لنا ؟ أو تقرب للأفراط بشئ من العبادة ؟ وتعلق بالشهداء ؟ لا . وهذا يدل على أنهم يشركون بالله جل وعلا الأنبياء والصالحين .

2/ [وإن قلت لا , بطل قولك :ـ أعطاهـ الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاهـ الله] . فنقول له : بطل قولك , لأن العلة واحدة فإنك تطلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن لأن الله أعطاهـ وهؤلاء الله أعطاهم والشريعة لا تفرق بين المتماثلات ولا تجمع بين المتناقضات فلماذا تفرق ؟ فظهر أنه تناقض فى قوله , والتناقض فى الأقوال دليل البطلان .

حقيقة الشفاعة أن الله جل وعلا هو الذى يتفضل على أهل التوحيد والإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن الله له أن يشفع والله يأذن للشفعاء ليكرمهم , ويرحم المشفعوع فيه

لا كما ظن هؤلاء المشركين أن الشافع يشفع إبتدأ فيمن شاء وينجيه من النار من غير مراعاة لشروط الشفاعة ولا يقيودها ولهذا يتعلقون بالأموات والصالحين ويسألونهم الشفاعة .

الشبهة السابعة

قال رحمه الله : [فإن قال : أنا لا أشرك بالله حاشا وكلا , ولكن الإلتجاء إلى الصالحين ليس بشرك] .

مرجع هذه الشبهة : الجهل بحقيقة الشرك .

هذا المبطل نفى عن نفسه الشرك وجعل الإلتجاء إلى غير الله كالصالحين ليس من الشرك , ما الذى حمله على هذا؟ الجهل بحقيقة الشرك .

كشف الشبهة :

قال رحمه الله : (فقل له : إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك) .

نتمرحل معه فى كشف الشبهة .

1ـ يقول : نعم .

2ـ يقول لا : فإن قال لا نورد له الأدلة الدالة على تحريم الشرك قال تعالى : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شئياً) وقال : (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً؟ . فبعد إراد هذهـ الأدلة لابد أن يقول نعم .

قال رحمه الله : (أعظم من تحريم الزنا) .

نسأله أيضاً نقول له : أنت الآن تقر أن الشرك محرم وأن الزنا محرم لكن هل تقر أن الله جل وعلا حرم الشرك أعظم من تحريمه الزنا ؟ فإن قال نعم , فقد أراح وأستراح .

وإن قال لا : نورد له الأدلة الدالة من أن الله حرم الشرك أعظم من تحريمه للزنا كقوله تعالى : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) فالله بدأ بالشرك فدل على أنه أعظم الذنوب كذلك قال تعالى : [يا أيها الناس اعبدوا ربكم ..... ولا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون] فجعل النهى عن الشرك أول المحرمات فدل على أنه أعظمها .

وكذلك حديث ابن مسعود رضى الله عنه فى الصحيحين أن قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم ؟

قال : [أن تجعل لله نداً وهو خلقك] .

وكذلك حديث أبى بكرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : [ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يارسول الله , قال : (الإشراك بالله) . ونبين له أن الشرك يخرج من الملة وأن الزنا لا يخرج من الملة , وأن الشرك لا يغفر والزنا تحت المشئية , وأن الشرك يحبط العمل وأن الزنا لا يحبط شئ من العمل .

بهذا إستقر عندهـ أن الله حرم الشرك , وأن الله جل وعلا حرم الشرك أعظم من تحريمه للزنا . والشيخ رحمه الله من دقيق فقه أنه قارن بين تحريم الشرك وتحريم الزنا , لماذا ؟ لأن الزنا مستقبح ومستنكر عند كل الناس , فكأنه يقول : هذا الذى تستنكرونه وتستقبحونه وتفرون منه ولا تريدونه لأنفسكم ولا لزوجاتكم ولا لأمها تكم ولا لأخواتكم ولا لبناتكم ولا لأحد من أقربائكم وتنفرون منه غاية النفور , الشرك أعظم منه , فلماذا لا يحصل هذا النفور وهذا البعد وهذا الإستنكار والإستقباح من الشرك كما هو حاصل فى الزنا على الأقل ؟ ولماذا لا تسعون فى تخليص أنفسكم وعشائركم وأهليكم كما تسعون فى تخليصهم من الزنا ؟

قال رحمه الله : (وتقر أن الله لا يغفر) , هذه مسأله أخرى .

فإن قال : نعم , فقد راح وأستراح وإن قال لا , نورد له الأدلة على هذا الأمر قال تعالى :

[إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] . إذا أقر بهذه الأمور جميعاً نتوجه إليه بالسؤال .

قال رحمه الله : [فما هذا الأمر الذى حرمه الله وذكر أنه لا يغفرهـ ؟] ماذا نريد " بالأمر " ؟ الشرك .

*** حاله لا يخلو من أمرين :ـ

(1) أن لا يعرف معنى الشرك , وهذا هو الذى يغلب على الظن لذلك الشيخ قال : (فإنه لا يدرى) . فيقال له :

قال رحمه الله : [كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه] , وكيف تزعم أن الإلتجاء إلى الصالحين ليس بشرك ــ وهذا رداً على قوله (أنا لا أشرك) وكذلك رداً على قوله : { الإلتجاء إلى الصالحين ليس شرك } .

وقد مر معنا أنه أقر بأن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وأخبر أنه لا يغفرهـ فيقال له : { أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفرهـ ولا تسأل عنه ولا تعرفه , أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟ }

مراد الشيخ من هذا أن يقول : لطالما أن الله قد حرمه فلا بد أن يكون قد بينه , فلا يعقل أن لا يبين أعظم ذنب عصى الله به , وقد بين الله وعرف ما هو دون الشرك بكثير .

والله ذكر الشرك فى كتابه وقال الله مخاطباً الناس : [وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم] .

فنقول له : لفظة الشرك هذه جاءت فى القرآن ؟ إذا قال : نعم , قلنا إن كان الله جل وعلا ما تولى بينها فى كتابه فالنبى صلى الله عليه وسلم قد بينها ولا بد لأن الله جل وعلا قال :[وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم]

وقال تعالى { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون } .

" ما نزل " :ـ ما موصوله بمعنى الذى تفيد العموم يعنى أنه يبين عموم لفظه ويبين عموم معناهـ ويدخل فى هذا لفظ الشرك ومعنى الشرك . قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : [النبى صلى الله عليه وسلم عرف الشرك بتعريف جامع فى حديث ابن مسعود قال : [أن تجعل لله نداً وهو خلقك] .

الند : هو الشبيه المثيل النظير , فمن جعل لله نظيراً فى ربوبيته أو فى ألوهيته أو فى أسمائه وصفاته هذا يكون قد أشرك بالله .

إذاً الشرك بين , ومن ذلك قال الله فى كتابه : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) . هذه فيها بيان للشرك , والكثير من الآيات فإتخاذ الشفعاء صورة من صور الشرك قال تعالى :

[ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون] .

وقال تعالى : [ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين] . فسمى الله دعاء غيرهـ عبادة وعبادة غيرهـ جل وعلا شرك .

وقال تعالى : [ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاؤكم ولو سمعوا ما أستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم] وغير ذلك من الآيات .

والعلماء قد عرفوا الشرك , فشيخ الأسلام ابن تيمية عرف الشرك بأنه : (أصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته فى بعض ما يستحقه وحدهـ) .

(2) أن يقول : [الشرك عبادة الأصنام] .

مـــــــا رائك فى هـــــــذا التـــعـــريـــف ؟ خـــاطئ .

إن قال لك : ألست عندكم قاعدة بأن تعريف الشئ ببعض أفرادهـ يصح ؟ نقول له : تعريف الشئ ببعض أفرادهـ حق لكنك جئت الآن بمقدار زائد عن هذا وهو أنك قصرت وحصرت الشرك على بعض أفرادهـ , فقولك " الشرك عبادة الأصنام " :ـ هذه جملة معرفة الطرفين وهذا من أساليب القصر .

ما الدليل على أنه قصر الشرك على بعض أفرادهـ ؟

1ـ جمـــــلة معرفة الطرفيـــــــن .

2ـ أنـــه أخـــرج الصورة الـــتى هو واقـــع فيها , وهى الإلتجاء إلى الصـــالحين .

قال رحمه الله : [ونحن لا نعبد الأصنام . فقل له :ـ ما معنى عبادة الأصنام ؟]

له جوابان أحدهما باطل والآخر حق :

1/ أن يقول : هى اعتقاد أن الأصنام والأحجار والأخشاب والأشجار تخلق وترزق وتدبر الأمر . وهذا باطل .

لذلك قال الشيخ رحمه الله :ـ [أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن] .

2/وإن قال : [هو من قصد خشبة أوحجراً وأبنية على قبر أو غيرهـ , يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى , ويدفع عنا ببركته أو يعطنا بركته] .

ســـــــــــــــــــؤال محمد

وهذا حق . قال رحمه الله : [فقل صدقت , وهذا فعلكم عند الأحجار والأبنية التى على القبور وغيرها .

نقول له : هذا الذى كان يفعله أولئك عند الأصنام هو عين ما تفعلونه أنتم عند القبور والقباب والأضرحة .

قال رحمه الله : [فهذا أقر : أن فعلهم هذا عبادة الأصنام فهو المطلوب] .

إذا قوله : أنا لا أشرك بالله قد إنتقض . وكذلك قوله : لكن الإلتجاء إلى الصالحين ليس بشرك , هذا أيضاً قد انتقض .

قال رحمه الله : (ويـــــــقـــال لـــه أيـــضـــاً) .

هذا وجه آخر من وجوهـ ضـــحد هذه الشـــبـــهة .

قال رحمه الله : [قولك : الشرك عبادة الأصنام , هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا , وأن الإعتماد على الصالحين ودعاؤهم لا يدخل فى ذلك ؟] .

سؤال محمد

هو يقول هذا , إذاً الآن رجع إلى أن الشرك هو عبادة الأصنام . سوال محمد

قال رحمه الله : [فهذا يردهـ ما ذكرهـ الله فى كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين]

هذا مر فى القواعد الأربع . أنت محتاج إلى أن تبين له أن الشرك هو صرف العبادة لغير الله .

سؤال محمد

قال رحمه الله : (وســـر المـــــسأله : أنه إذا قال : أنا لا أشرك بالله . فقل له : وما الشرك بالله فعرهـ لى .

فإن قال : هو عبادة الأصنام . فقل له , وما معنى عبادة الأصنام ؟ فســـرهـــا لى .)

هذا يعتبر التلخيص لما سبق . فهو لا يفسر لك ما عبادة الأصنام .

قال رحمه الله : [فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله وحدهـ . فقل له : وما معنى عبادة الله وحدهـ , فسرهـا لى ؟]

ما معنى عبادة الله فسرها لى ؟

هل عبادة الله أن تعتقد أن الله هو الخالق الرازق المدبر وأن تصلى وتصوم وتحج له وتزكى له , هل هذه عبادة الله؟ أم ماذا تعنى بعبادة الله ؟

قال رحمه الله : (فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب) : من أن عبادة الله هى أن نتقرب إليه بكل ما يحبه ويرضاه فهذا هو المطلوب .

قال رحمه الله : [وإن لم يعرفه فكيف يدعى شيئاً وهو لا يعرفه ؟ وإن فسر ذلك بغير معناهـ بينت له الآيات الواضحات فى معنى الشرك وعبادة الأوثان وأن الذى يفعلونه فى هذا الزمان بعينه] . سؤال محمد

أى أن الشرك عين ما يفعلونه فى هذا الزمان , وأن عبادة غير الله هى عين ما يفعلونه فى هذا الزمان .

قال رحمه الله : (وأن عبادة الله وحدهـ لا شريك له هى التى ينكرون علينا) .

يعنى ما إكتفوا بعبادتهم لغير الله , فهم أنكروا على من عبد الله وحدهـ فعله هذا .

قال رحمه الله : (ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا [أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشئ عجاب]) وهذا صحيح , الآن ماذا ينكرون على الموحدين ؟

ينكرون عليهم أنهم قالوا : أن نعبد إلا الله لن نتجه إلى الأولياء ولا الصالحين ولا إلى القبور ولا إلى القباب ولا إلى الأضرحة كما قال أسلافهم : [أجئتنا لنعبد الله وحدهـ ونذر ما كان يعبد أباؤنا] . وقال تعالى :

[إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون] .

وقال تعالى :

[أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين] .

فهم لا يرضون بالتوحيد يريدون الشرك والتنديد قال تعالى : { ذلكم بأنه إذا دعى الله وحدهـ كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير } . وقال تعالى :

{ وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحدهـ ولوا على أدبارهم نفوراً } وقال تعالى :

{ وإذا ذكر الله وحدهـ إشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون } .

الشبهة الثامنة

قال رحمه الله : (فإن قال : إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء وإنما يكفرون لما قالوا الملائكة بنات الله فإن لم نقل : عبد القادر ابن الله ولا غيرهـ) .

مرجع هذه الشبهة :

الجهل بحقيقة الكفر وأسبابه .

الكفر عندهم الآن هو زعم أن الملائكة بنات ولذلك قالوا : إن سبب كفر الأولين إدعاءهم أن الملائكة بنات الله فكفروا بهذا , لا بشئ غيرهـ .

فقالوا : نحن لا ندعى هذا فيمن نعتقد فيهم كعبد القادر الجيلانى . وظاهر أن هذهـ الشبهة أوهى من خيط العنكبوت , لماذا ؟ لأن الكفر دين يجتمع تحته أشياء كثيرة وتتعدد أفرادهـ وصورهـ . وهذه الشبهة رائجة عندهم حتى إن البصيرى ذكرهـا فى " البردة " قال :

زعم إدعته النصارى فى نبيهم *** واحكم بما شئتة مدحاً فيه واحتكم

يعنى يقول لك : قل ما شئ فى النبى صلى الله عليه وسلم وامدحه بما شئت واحذر شئ واحد ماهو هذا الذى ؟ أن تمدحه بما مدحه به النصارى . وإن قبل : له ما دليلك ؟

قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (لا تطرونى(1) كما أطرت النصارى ابن مريم) .

فالنبى صلى الله عليه وسلم نهى عن اطرئه كإطرأ النصارى يعنى لا تقول : أنى الله ولا ابن الله لا ثالث ثلاثة وبعد ذلك امدحونى بما شئتم وأفعلوا معى ما شئتم . فهم

نقول له : قال شيخ الإسلام ابن تيمية : { ما من مبطل يأتى بشبة إلا وفى شبهته ما ينقضها } فنقول له :

نحن ما ننقل عن هذا الحديث , هل المراد النهى عن أصل الإطراء ومطلق الإطراء أو أن المراد النهى عن نوع الإطراء الذى كان عليه النصارى ؟ المراد النهى عن مطلق الإطراء .

فإن قال : ما الدليل على هذا ؟ قلنا له :

قال الله جل وعلا : (ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأهـ الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) . فهل النهى هنا عن جميع أنواع الأذية , أم نوع الأذية الذى حصل من بنى إسرائيل لموسى ؟ المراد مطلق الأذية .....

وكذلك نقول : الله جل وعلا نهانا هنا أن طرى النبى صلى الله عليه وسلم بأى نوع من أنواع الإطراء .

وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم قال : [لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير] . هل المراد هنا أصل الرزق أم نوع الرزق ؟ المراد أصل الرزق .....سؤال مهم .

كشف الشبهة :

قال رحمه الله : (فالجواب) : هذا الوجه الأول .

قال رحمه الله : (أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل قال تعالى : [قل هو الله أحد * الله الصمد]

والأحد : الذى لا نظير له , والصمد : المقصود فى الحوائج , فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد السورة) .

مرادهـ من قوله : [نسبة الولد إلى الله كفر مستقل] بيان أن نسبة الولد إلى الله هذا نوع من أنواع الكفر , والكفر يتعدد وأسبابه تعدد ووسائله تتعد . ودعاء الملائكة والصالحين والتعلق بهم هذا كفر مستقل .

فلو سألنا صاحب الشبهة : ما رأئك فى أن رجل,,,,,..... قال : (قل هو الله أحد) . فجحد هذا فقال : أنا ما أقول الله أحد . فقلنا له : قال الله : [الله الصمد] . قال : ما أقول الله الصمد . فقلنا له : هل أنت تجحد سورة الإخلاص ؟ قال : لا , ولكن أجحد أن الله أحد وأن الله الصمد . فهل هذا يكون مسلماً ؟ لايكون مسلماً .

الشيخ جاء بهذه الآية فوقف فى قوله : (الله الصمد) فكأنه يريد أن يقول لك : لو كان له ابن لقصد فى بعض الحوائج لأن الابن له مكانه عند أبيه .

قال رحمه الله : [وقال الله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله)] .

الآن الشيخ يريد أن يدلل لك على أن نسبة الولد إلى الله هذا كفر مستقل .

قال رحمه الله : (ففرق بين النوعين) . النوعان هـــــما :

1/ نســــــبة الولد إلى الله .

2/ تأليـــــــه غير الله .

قال رحمه الله : (وجعل كل منها كفر مستقلاً) . وجه الدلالة على التفريق العطف , فالعطف يقتضى المقايرة ويدل عليه , يعنى يدل على أن المعطوف غير المعطوف عليه , فهو يقتضى المقايرة فى الذات وفى الصفات مثالاً:

قال الله : [من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال] , فعطف جبريل وميكال على الملائكة ــ هذا عطف خاص على العام ــ فجبريل وميكال من جنس الملائكة , لكن عطف جبريل وميكال على الملائكة يقتضى المغايرة فى الذات والمغايرة فى الصفات , هل جبريل هو كل الملائكة ؟ لا , إذاً ذات جبريل تختلف عن ذات ميكال وتختلف عن ذات الملائكة , وصفات جبريل تختلف عن صفات ميكال وصفات الملائكة , فهذا هو الأصل فى العطف إلا إذا حل الدليل على عدم ذلك .

قال رحمه الله : (وقال تعالى : [وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم] .

الله جل وعلا يتكلم عن الكفار . قال تعالى : (وجعلوا .... وخلقهم) هذا من الإستدلال بالربوبية على الألوهية . فمن جعل لله شركاء هذا يكون كافر , ومن جعل لله ابن فهو كافر , ومن جمع بين الكفرين يكون كافر من وجهين.

قال رحمه الله : (ففرق بين الكفرين) .

ثم الشيخ ذكر وجه ثانياً من أوجه الرد .

قال رحمه الله : (والدليل على هذا أيضاً) : أى الدليل على أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل , ومن أله غير الله كفر مستقل .

قال رحمه الله : (أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلاً صالحاً لم يجعلوهـ ابن الله) .

المشركون قالوا : الملائكة بنات الله : فنسأله : هل اللات من الملائكة ؟ ليس من الملائكة , اللات أصله رجل صالح . فنقول له : الذين عبدوا اللات هل هم كفار أم مسلمون ؟ جوابه كفار .

فنقول له : ما سبب كفرهم ؟ هل كفروا لأنهم قالوا اللات ابن الله ؟ .

قال رحمه الله : (والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك).

نقول لهم : من عبد الجن هل هم مسلمون أم كفار ؟ : جـــــــــــوابه كفار .

نقول لهم : هل الذين عبدوا الجن ادعوا أنهم أبنا الله أوادعى أنهم بنات الله ؟ بم كفروا ؟ كفروا بسبب تأليه غير الله جل وعلا . هذا هو الوجه الثانى من وجوهـ الرد .

قال رحمه الله : (وكذلك أيضاً العلماء فى جميع المذاهب الأربعة يذكرون فى باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً فهو مرتد , ويفرقون بين النوعين وهذا فى غاية الوضوح).

مراد الشيخ من هذا أنك إذا طالعت فى كتب الفقه جميعاً أن العلماء يقصدون باباً فى حكم المرتد , من هذا المرتد ؟ هو المسلم الذى كفر بعد إسلامه . إذا ذهبنا إلى هذه الأبواب وتابعنا فيها , هل نجد أن الفقهاء اقتصروا فقط فى الأسباب التى تؤدى إلى الكفر إلى أنه لا يكفر إلا من نسب لله ولد ؟ لا , بل يذكرون تحت أبوابهم أسباب كثيرة للردة ولا يحصرونها فيمن نسب الولد لله تبارك وتعالى .

نسأله نقول له : ما رأئك فى رجل أنكر أن محمداً رسول الله ؟ جـــوابه كـــافر .

نقول : هل قال محمد صلى الله عليه وسلم ابن الله . نقول له كذلك : ما رأئك فيمن قال أنا مسيلمة رسول ؟

جوابه كافر . : نقول : ما رأئك فيمن جحد الصلاة ؟ جـــــــــــــــــــوابه كافر .

وهذا فيه الرد عليهم , بأن الكفر أسبابه تتنوع , فكون المشركين زعموا أن الملائكة بنات الله هذا نوع من أنواع الكفر : فمثلاً : رجل يسب الله ويسب الدين ويسب القرآن ويجحد شئياً من السنة هذهـ كلها أسباب كفر قد تجتمع فى رجل وآحد وقد تتفرق أسباب الكفر فى الناس . فى غاية الوضوح لمن تـــــــــــــــــأمله .

الشبهة التاسعة

قال رحمه الله : (فإن قال : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) . مرجع هذه الشبهة :

الجهل بمنزلة ومكانة الأولياء وما الواجب اتجاههم وما الذى لهم علينا .

وهم يريدون بهذه الآية أن يقولوا : هذه الآية دلت على وجود الأولياء وأن لهم منزلة وقدراً عند الله ولهم كرامات وهذا ظاهر فى الآية : [لا خوف عليهم ولا هم يحزنون] . وهذا دليل على جواز عبادتهم ودعائهم مع الله سبحانه وتعالى .

هم الآن قدموا بمقدمة صحيحة وستروا تحت هذه المقدمة هذا الباطل .

كشف الشبهة :

قال رحمه الله : (فقل : هذا هو الحق ولكن لا يعبدون) .

يعنى الشيخ يقول لهم : يجب عليكم أن تفرقوا بين أمرين :

الأول : كون الأولياء لهم جاهـ ومنزلة وقدر عند الله هذا حق يدل عليه قوله : (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

الثانى : كونهم يستحقون العبادة أو شيئاً منها هذا باطل , لأن الآية لم تذكر أنهم يعبدون ولا يلزم من إثبات الأول إثبات الثانى .

قال رحمه الله : (ونحن لمن نذكر ــ وفى نسخة " تنكر" ــ إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه إلا فالواجب عليك حبهم وإتباعهم والإقرار بكراماتهم) .

الشيخ يقول : نحن لمن ننكر ولا يتهم ولا جاههم عند الله ولا علمهم ولا تقواهم ولا كراماتهم , وهذا دل عليه القصر فى كلام الشيخ وهو الإستثناء المسبوق بالنفى . والذى أنكرهـ الشيخ عبادتهم وحصر إنكارهـ فى هذا .

قال رحمه الله : (ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال ودين الله وسط بين طرفين وهدى بين ضلالتين وحق بين باطلين) .

الشيخ بهذا التقرير يرد على طائفتين ويقرر الحق فى مسألة الأولياء .

الطائفة الأولى :

طائفة الغلاة , وهؤلاء الذين يرفعون الأولياء فوق منازلهم ويجعلون لهم شيئاً من خصائص الألوهية والربوبية .

الطائفة الثانية :

الجفاة , وهؤلاء يهضمون للأولياء حقوقهم وينكرون كراماتهم ولا يقرون بحقهم من المحبة والموالاة والتوفير والتبجيل .

والحق وسط بين هاتين الطائفتين , فأهل الحق يثبتون الأولياء ويحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم ويثبتون كراماتهم , ولكنهم يتبرأون من الغلو فيهم أو إدعاء عصمتهم أو إدعاء أنهم

يستحقون شيئاً من الربوبية أو شيئاً من الألوهية أو أنهم يستحقون شيئاً من صفات الله ومن أسمائه .

أما بالنســـبة لمسألة الكرامة :

الكرامة : هى أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد ولى من أولياءهـ تأييداً له أو إعانة له أو تثبيتاً له أو نصراً لدين الله .

إذاً من هذا التعريف قولنا : [أمر خارق للعادة] : هذا قيد خرج به الأمر الموافق للعادة , يعنى لو أن أحد الناس قال أنا لى كرامة فقلنا له ما كرامتك قال : إن شاء الله أنا سآمر الشمس أن تطلع الساعة السادسة وهذا هو الوقت المعتاد الذى تخرج فيه الشمس , فخرجت الشمس فى نفس الوقت المعتاد أن تخرج فيه , هل هذا يعد من الكرامة ؟ لا يعد كرامة .

[على يد ولى من الأولياء] :

هذا خرج به ما يجريه الله على يد رسولٍ من رسله , وهذا يسمى معجزة . وخرج به ما يجرى على أيدى الفجرة والسحرة , لماذا ؟

لأنهم ليسوا بأولياء وهذهـ تسمى أحوال شيطانية .

إذاً إذا رأينا أمراً خارق للعادة ننظر إلى صاحبه إن كان عبداً صالحاً تقياً , حسبنا أن هذا كرامة , وإن كان فاجراً فاسقاً فهذه حالٌ شيطانية .

هل من لا زم الولى أن تجرى على يديه كرامة ؟ " لا " / هل يلزم من عدم الكرامة عدم الولاية ؟ لا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى العقيدة الواسطية :

(ومن أصول أهل السنة : التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى الله على أيديهم من خوارق العادات).

وكذلك الطحاوى رحمه الله فى " الطحاوية " قال :

[ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم] .

وكذلك السفارين فى " السفارينية " قال :

وكل خارق أتى عن صالح *** من تابع لشرعنا وناصح

فإنها من الكرامات التى *** بها نقول فاقف للأدلة

ومن نفاها من ذوى الضلال *** فقد أتى منى ذاك بالمحال

فإنها شهيرة ولم تزل *** فى كل عصر بأشقا أهل الزلل

الناس فى الكرامات طرفان ووسط منهم من غلى فى إثباتها كالمتصوفة والقبوريين أثبتوها لمن ليس له علاقة بولاية الله , أثبتوها للفسقة وللفجرة بل ربما للكفرة وتجاوزوا فى ذلك حتى إنهم عبدوا من ظهر على يدهـ أمر خارق للعادة , لذلك إذا أنكرت عليهم يقولون : فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا , يستدلون هذه الأحوال التى تظهر على ولاية هذا الرجل , يعنى

يجعلون مجرد ظهور هذه الخوارق علامة على ولاية هذا الرجل , ثم إذا ثبت عندهم أن زيداً من أولياء الله ما وقفوا عند هذا الحد , تجاوزوهـ إلى أن عبدوهـ هؤلاء الغلاة فى مسألة الكرامات .

ومنهم من غلاة فى نفيها , نفوا الكرامات نفياً باتاً , يعنى قالوا : الأولياء ليس لهم كرامات كالخوارق والمعتزلة . وإذا قيل لهم : لماذا نفيتموها ؟

قالوا : إن أثبتناها إشتبه أمر الساحر بالولى وأشتبه أمر الولى بالنبى.

نـــقول سبحان الله : تعريف الكرامة يرد هذا التوهم الذى حصل لهم .

وما يظهر على يد الولى لا يلتبس بما يظهر على يد النبى لأن المعجزة يكون معها إدعاء النبوة قال صلى الله عليه وسلم [ما من نبى إلا وأتى ما على مثله آمن البشر وكان الذى أوتيته وحياً أوحاهـ الله إلى فأرجوا أن أكون كثيرهم أتباعاً يوم القيامة] .

فما يجريه الله على يد الأنبياء من خوارق العادات هذا يقترن معه إدعاء النبوة .

هل هذا يلتبس بما يجريه الله على يد الولى ؟ لا , لماذا ؟

لأن المعجزة معها إدعاء النبوة , لو أن صالحاً ظهر على يدهـ خارقاً وإدعى النبوة ؟

دعواهـ للنبوة كذب على وهذا لا يكون ولياً أصلاً .إذاً ما توهمه الخوارج والمعتزلة وتوصلوا به إلى نفى الكرامات هذا ليس صحيح .

الفريق الوسط هم أصل الســـنة , أثبتوا الكرامات ولم يغتروا بها , ولم يغلوا فى أصحابها .

قال رحمه الله : (فإذا عرفت أن هذا الذى يسميه المشركون فى زماننا " كبير الإعتقاد " هو الشرك الذى نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه , فإعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين :) , هـــذا مضى فى القواعد الأربـــــعــة .

قال رحمه الله :

(أحدهما : أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا فى الرخاء وأما فى الشدة فيخلصون لله الدعاء , كما قال تعالى :

[وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياهـ فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً] .

وقوله : (قال أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين * بل إياهـ تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون) . وقوله :

(وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه) , إلى قوله : (قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار) .

وقوله : (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) .

فمن فهم هذه المسألة التى وضحها الله فى كتابه ـــ ما هى هذه المسألة ـــ [وهى أن المشركين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله ويدعون غيرهـ فى الرخاء وأما فى الضر والشدة فلايدعون إلا الله وحدهـ لا شريك له وينسون ساداتهم , تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين , ولكن أين من يفهم بقلبه هذه المسألة فهماً راسخاً , والله المستعان] .

هذا بين عما يغن من الإعادة .

قال رحمه الله : (الأمر الثانى : أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله : إما أنبياء , وإما أولياء , وإما ملائكة , أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعة لله ليست عاصية ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس , والذين يدعونهم هم الذين يكلون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك) .

والذى يعتقد فى الصالح أو الذى لا يعصى مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفسادهـ ويشهد به .

صدق رحمه الله , الأشجار والأحجار أقل أحوالها أنها لا تعصى الله إذا ما قلنا أنها مطيعة , فكيف إذا أنضاف إلى ذلك أنها مطيعة كما قال تعالى : [وإن من شئ إلا يسبح بحمدهـ ولكن لا تفقهون تسبيحهم] .

وقال تعالى : (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) .

أيهما أشد شركاً الذى يعتقد فى الصالح أم الذى يعتقد فى الفاجر ؟

الذى يعتقد فى الفاجر , لماذا ؟ لأن الشبهة فى الصالح قوية , ولكن ما الذى قادك إلى عبادة الفاجر الفاسق الماجن وليس له من تقى ولا صلاح , ولكن هؤلاء يغترون بالأحوال الشيطانية التى تجرى على أيدى هؤلاء فيستدلون على هذا بولايتهم دون النظر إلى القيدين الذين علق الله بهم الولاية فقال جل وعلا :

[ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون] .

قال رحمه الله : (إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولاً , وأخف شركاً من هؤلاء) .

بأى شئ تحققنا من هذا ؟ بما مـــعـــــنى .

قال رحمه الله : (فأعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهى .....) .

يعنى لهم شبهة يعارضون بها هذا التقرير وهو " أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولاً وأخف شركاً .

قال رحمه الله : [وهـــــــــــــــــــــــــــى].

أى وهذه الشـــبهة .

قال رحمه الله : [مـــــن أعـظـــم شبهـهم فأصـــغ سمعك لـجـوابـــها] .

الـــشـبـــة الـــعـــاشـــرة

قال رحمه الله : (وهى أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله , ويكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله , ونصدق القرآن , ونؤمن بالبعث , ونصلى ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟ !.) .

يعنى يقولون : نحن أفضل من أولئك ولا مقارنة بيننا وبينهم فؤلئك كفار ونحن مسلمون ــ هذا مرادهم .

هم الآن يريدون بما قالوا أن يثبتوا أنهم على الإسلام , ولطالما أنهم على الإسلام فهم أفضل من أولئك .

والأنسان قد يكون أفضل منه غيرهـ فى شئ وأسوأ منه فى شئ آخر .

الشيخ رحمه الله : فضلهم عليهم فى بعض الأشياء وإن كان هؤلاء شهدوا أن لا إله إلا الله وصدقوا القرآن وآمنوا بالبعث وصلوا وصاموا فكل هذا ينعدم بكفرهم ولا وزن له عند الله لذلك الله جل وعلا قال :

[فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً] , فوجود هـــذا كعـــدمـــــه .

كشف الشبهة :

قال رحمه الله : (فالجواب : أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ وكذبه فى شئ , أنه كافر لم يدخل فى الإسلام) .

الشيخ يريد أن يقرر أن الشخص يكفر بتلبسه بأحد نواقض الإسلام أوبأحد المكفرات , فليس من شرط التكفير أن يكذب أو يكفر بجميع ما أنزل الله أو أن تجتمع فيه جميع المكفرات .

قال رحمه الله : [وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة] .

مراد الشيخ أن القرآن جاءنا بالأمر بالتوحيد وجاء بوجوب إقامة الصلاة , فلو أن رجلاً أقر بالتوحيد ولكن قال :

هذه الصلاة ليست عليّ ولا على من تبع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة , هل هذا يكون مسلماً ؟ لا يكون مسلماً

قال رحمه الله : (أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة).

كذلك القرآن جاءنا بالتوحيد وجاءنا بالصلاة وجاءنا بالزكاة فرجل قال : أنا أوحد وأصلى وأما الزكاة هذه ليست من الأسلام . هـــــــذا حـــــــــكمه أنـــه كـــافر.

قال رحمه الله : (أو أقر بالتوحيد والصلاة وهذا كله وجحد الصوم) .

هـــــــذا كـــــــــافـــــر .

قال رحمه الله : (أو أقر بهذا كله وجحد الحج) . هـــــــــــذا يـــكـــفـــر .

هل هذا الرجل نفعه إقرارهـ بالتوحيد مع جحدهـ للصلاة ؟ لا .

وهل ينفعه إقرارهـ بالتوحيد والصلاة والزكاة والصوم مع جحدهـ للحج ؟ لا ينفـــعـــه .

إذاً هذا فيه أعظم حجة عليهم , أنه إذا كفر بشئ ما نفعه الإقرار به مع جحدهـ لشئ آخر , وليس من شروط الكفر أن يتلبس الإنسان بجميع المكفرات بل يكفى أن يتمسك بواحد منها أوببعضها .

قال رحمه الله : (ولما لم ينقد أناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم للحج أنزل الله فى حقهم : [ولله على الناس حج البيت من إستطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين]) .

الإنقياد معناهـ المطاوعة وفعل الأمر وترك النهى .

هناك أثر أخرجه سعيد بن منصور فى " سننه " وابن جرير فى " التفسير " عن ابن عباس لما نزل قول الله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) قال : [قال اليهود والنصارى : نحن مسلمون , فإنزل الله : (ولله على الناس حج البيت من إستطاع إليه سبيلاً) فقالوا : لا نحج , فقال : [ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين]] .

فهؤلاء لما جحدوا كفروا , أما التارك للحج غير الجاحد لا يكفر , ليس هناك من الأفعال تركه كفر إلا الصلاة , الصلاة إذا تركها الإنسان يكفر بمجرد الترك ولا يقال : أهو مستحل أوليس مستحل لقول النبى صلى الله عليه وسلم : (بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة) .

" ترك " : هذه مضاف يفيد العموم , التارك لها كسلاً والتارك لها جحوداً . وعبد الله بن الشقيق :

قال : (لا يرون من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة) . أى كفر مخرج عن الملة .

قال رحمه الله : (ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع , وحل دمه وماله , كما قال تعالى :

[إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً]) .

الله جل وعلا قال :

[زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن] وقال :

[وإن تعجب فعجباً قولهم أإذا كنا تراباً أإنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] .

قال رحمه الله : (فإذا كان الله قد صرح فى كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً , وأنه يستحق ما ذكر , زالت الشبهة .

" أولئك هم الكافرون" : فى هذه الجملة قصر الله الكفر عليهم كأنه يقول : لا كافر إلا هؤلاء , وأتى بضمير الفصل (هم) للتأكيد وكذلك جاء بكلمة (حقاً) .

والله جل وعلا قال عن قوم نوح مع أن نوحاً أول رسل الله : (كذبت قوم نوح المرسلين) فهذا فيه أن تكذيب نوح تكذيب لجميع الرسل .

قال رحمه الله : (وهذه هى التى ذكرها بعض أهل الإحساء فى كتابه الذى أرسله إلينا) " وهذه " : أى الشبهة .

وهذا الرجل إسمه أحمد بن عبد الكريم , فهو كان قد أرسل رسالة للشيخ ذكر فيها هذا .

قال رحمه الله : [ويقال أيضاً: إن كنت تقر أن من صدق الرسول فى كل شئ وجحد وجوب الصلاة أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع وكذلك إذا أقر بكل شئ إلا البعث , وكذلك لوجحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه , وقد نطق به القرآن كما قدمنا , فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم , وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور , كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وإذا جحد التوحيد الذى هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟

سبحان الله وما أعجب هذا الجهل !] .

وهذه حجة قاهرة . التوحيد هو الركن الأول من أركان الإسلام .

قال ــ رحمه الله : (ويقال أيضاً) .

أى فى رد هذه الشبهة : قال رحمه الله : [هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة , وقد أسلموا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون] .

بنو حنيفة هم أتباع مسيلمة . وهم أشهر أهل الردة , وهؤلاء كفرهم معلوم .
فهم مؤمنون بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنهم يقولون أن مسيلمة رسول الله .

قال رحمه الله : (فـــإن قـــال) :

يعنى إن أراد يعترض على هذا الدليل .

قال رحمه الله : (إنهم يقولون إن مسيلمة نبىٌّ) : قولهم هذا فيه حجة عليهم لذلك قال الشيخ .

قال رحمه الله : (فقل : هذه هو المطلوب) .

إذا أنهم كفروهم بتلبسهم بناقض واحد , ويقال .

قال رحمه الله : (إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبى صلى الله عليه وسلم كفر , وحل ماله ودمه , ولم تنفعه
الشهادتان ولا الصلاة , فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً
إلى رتبة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله , ما أعظم شأنه :
[كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون] .

إذا كان ذلك كفر لأنه رفع بشر إلى مرتبة بشر فكيف بمن رفع بشر إلى مرتبة رب البشر , لا شك أن هذا يكون أعظم شركاً .
قال تعالى : [ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أ يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون] .
لو أن الصحابة إتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً لكفروا بذلك , فكيف ممن اتخذ هؤلاء ممن هو دون الصحابة , يكفر .

قال رحمه الله : (ويقال أيضاً : الذين حرقهم علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام وهم من أصحاب على رضى الله عنه) .

يعنى ممن تشيعوا له , وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا فى علىٌّ وجعلوهـ إلهاً .
فحرقهم علىّ رضى الله عنه وخد لهم الأخاديد وأمر بإضرامها بالنار ثم دعى ولا ته , قال علىّ :ـ
لما رأيت الأمر أمراً منكراً ****** أججت نارى ودعوت قنبراً
وألقاهم فى هذه الأخاديد وحرقهم .

قال رحمه الله : (وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا فى علىّ مثل الإعتقاد فى يوسف وشمسان وأمثالهما) .

تاج يوسف وشمسان هؤلاء طواغيت كانو يعبدون .

تاج : كان فى منطقة ..... , وتصرف له النذور ويدعى ويستغاث به ..... .

شمسان : كان فى منطقة ..... , ويوسف : قبرهـ فى الإحساء .

وهؤلاء وجدوا فى عهد قريب , فى عهد الشيخ رحمه الله .

قال رحمه الله : (فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟) .

أجمعوا عى كفر من ألهوا علياً , ابن عباس اختلف مع علىّ فى طريقة قتلهم , أنهم يقتلوآ ولا يحرقوا .

قال رحمه الله : (أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟)

هل يصح لأحد أن يقول هذا ؟ لا يصح , بل هم كفروا المشركين .

قال رحمه الله : (أم تظنون أن الإعتقاد فى تاج وأمثاله لا يضر , والإعتقاد فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يكفر ؟) .

نقول : لوجازت عبادة واحد من هؤلاء لجازت عبادة على بن أبى طالب رضى الله عنه .

قال رحمه الله : (ويقال أيضاً) :

الشيخ أطال فى رد هذه الشبهة لأنها هذه هى التى يدندن بها هؤلاء ويكثرون من الإستدلال بها .

قال رحمه الله : (بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر فى زمان بنى العباس) .

العبيديون هؤلاء نسبة إلى عبيد الله المهدى هذا هو رأسهم , وهم يسمون أنفسهم بالفاطميين , يعنى يدعون الإنتساب لفاطمة ــ رضى الله عنها ــ كذباً وزوراً , ليستروا تحت هذا المسمى هذا الباطل .

كالشيعة الآن فهم يدعون التشيع لأهل البيت ويسترون تحت هذا , هذا الباطل الذى هم عليه .

والقداح هذا اسمه ميمون بن قيصان , وهم صاروا ملوكاً على المغرب ومصر فى زمن بنى العباس .

قال رحمه الله : (كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله , ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة) .

هم باطنية , يعنى : يقولون : الإسلام ظاهر وباطن .

فالباطن يتأولونه على معنى عندهم كيف شل..... , والظاهر يفهم بمقتضى الخطاب العربى . فيقولون : الباطن يفهم الخواص , والظاهر يفهم عوام الناس بمقتضى الخطاب العربى .

وستروا تحت هذا الباطن الكفر والإلحاد والزندقة وهم طوائف منهم طائفة غلاة وهؤلاء خرجوا من الإسلام بالكلية فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يزكون ولا يحجون ولا يفعلون شيئاً من الشرع .

ومنهم العوام , يصلون ويصومون ويزكون ويحجون لكنهم مع ذلك يظهرون أشياء مخالفة للشريعة كالواحد منهم يفعل شئ مخالف للشريعة كالزنا مثلاً :

فإذا سئل قال : الإسلام له ظاهر وباطن , والباطن يتألونه . والدعوى هذه قائمة عند الصوفية , ويستدلون بقصة الخضر وموسى عليهما السلام , أن الخضر خرق السفينة وقتل الغلام وهذه فى علم الظاهر باطلة ولذلك أنكر عليه موسى لما معه من علم الشريعة وعلم الظاهر وكانت هذه الأمور فى بواطنها حقاً وصواباً , وهذا كله باطل .

ونرد على هذا نقول لهم :

الخضر ما كان مكلفاً بلزوم شريعة موسى ولا كان موسى مكلفاً بلزوم شريعة الخضر , وما عند موسى شريعة ظاهرة وما عند الخضر شريعة ظاهرة لأنه قال :

[وما فعلته عن أمرى] : يعنى فعله بأمر الله .

قال رحمه الله : (فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون ما نحن فيه) .

نحن فى ماذا ؟ فى التوحيد . يعنى خالفوا الشريعة فى أشياء دون التوحيد .

قال رحمه الله : (أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب , وغزاهم المسلمون <u>حتى استنقذوا</u> ما بأيديهم من بلادان المسلمين) .

فإذا كانوا خالفوا فى أشياء دون التوحيد وكفروا بذلك فكيف بمن أنكر التوحيد ؟ يكون كافراً .

قال رحمه الله : (ويقال أيضاً) . أيضاً هذا وجه من الوجوهـ .

قال رحمه الله : (إذا كان الأولون لمن يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وأنكار البعث وغير ذلك) .

مراد الشيخ أن يقول لهم :

إذا كان الأمر كما تقولون أن الإنسان لا يكفر إلا إذا اجتمعت فيه جميع أسباب الكفر وجميع نواقض الإسلام :ـ

قال رحمه الله : (فما معنى الباب الذى ذكرهـ العلماء فى كل مذهب : " باب حكم المرتد " وهو المسلم الذى يكفر بعد إسلامه , ثم ذكروا أنواعاً كثيرة) . أنواعاً كثيرة مما تقع به الردة .

قال رحمه الله : (كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله , حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها) , أشياء يسيرة مثل من قال : للمصحف مصيحف , يكفر لأن هذا التصغير يراد منه التحقير , كذلك من قال للمسجد: مسيجد , هذا هو منصوص عليه فى بعض كتب الأحناف فى أبواب حكم المترتد .

قال رحمه الله : (مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المذح واللعب) .

كما قال صلى الله عليه وسلم : (إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بال يهوى بها فى جنهم سبعين خريفاً) .(1)

وقال : (وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاهـ) .(2)

فالإنسان قد يكفر بالكلمة الواحدة .

قال رحمه الله : [ويقال أيضاً : الذين قال الله فيهم (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم)] .

وهؤلاء كفروا بكلمة . هذه الآية دلة على أن الكفر منه ما هو قولى , ومنه ما هو عملى .

قال رحمه الله : (أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون , ويوحدون , وكذلك الذين قال الله فيهم :

[قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم **]) .**

فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك , قالوا كلمة .

هم قالوا : ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء , يعنون بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم وحملة القرآن من الصحابة رضوان الله عليهم .

فعوف بن مالك نقل الكلام إلى النبى صلى الله عليه وسلم أوذهب لينقل الكلام فوجد أن الوحى قد سبقه . فبعد أن جاءوا يعتذرون إلى النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون : قلناها على وجه اللعب والمزح كما يفعل المسافرون نريد أن نقطع بها الطريق فقال الله :

[قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم] . فى الآية الآولى قال : (بعد إسلامكم) فول على أنهم كانوا مسلمين , وفى هذه قال : (بعد إيمانكم) . فهؤلاء كفروا لأنهم هضموا النبى صلى الله عليه وسلم حقه وهضموا الصحابة حقهم , لأن حقهم الإحترام والتبجيل والتوقير , فكيف بمن هضم الرب حقه ؟

لأشك أنه أعظم كفراً .

قال رحمه الله : (فتأمل هذه الشبهة وهى قولهم : تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون , ثم جوابها , فإنه من أنفع ما فى هذه الأوراق) .

يعنى هذه الشبهة الشيخ أطال فيها لأنها من أنفع ما فى هذه الأورقات وهو قد أجاب عن هذه الشبهة بأجوبة عظيمة قوية .

قال رحمه الله : (ومن الدليل على ذلك أيضاً : ما حكى الله عن بنى إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم , أنهم قالوا لموسى : (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) . وقال أناس من الصحابة : (اجعل لنا ذات أنواط " فحلف النبى صلى الله عليه وسلم , أن هذا نظير قول بنى إسرائل : " اجعل لنا إلهاً ") .

هذا الكلام مضى فى القواعد الأربعة .

وما قال النبى صلى الله عليه وسلم : هؤلاء من أصحابى ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهم الآن خارجون معنا إلى حنين يجاهدون فى سبيل الله , أن قولهم هذا لا يضرهم . لا , بل سوى بين مقالتهم ومقالة بنى إسرائيل .

فهذا دليل على أن الإنسان يكفر إذا جاء بناقض واحد , وليس من شرط الكفر أن تجتمع فيه جميع النواقض , وأن من أتى بناقض واحد لا ينفعه إقرارهـ ببقية الإسلام .

بهذا يثبت أن هؤلاء مشركون وأولئك مشركون وتبقى مفاضلة الشيخ قائمة بينهم .

الشبهة الحادية عشرة

قال رحمه الله : (ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهى أنهم يقولون) .

الإدلاء : هو ذكر الشئ على جهة التقرير له , يعنى يذكرون هنا شيئاً ويقررونه عند هذه القصة , يعنى أنهم يعترضون على هذا المثال الذى ذكره الشيخ رحمه الله ــ أنه من قال لا إله إلا الله وتلبس بناقض من نواقض الإسلام يكفروا وأنه لا يشترط أن يجمع الإنسان جميع أسباب الردة حتى يكفر , فالشيخ أورد هذه القصة قصة الذين قالوا :" اجعل لنا ذات أنواط " فهؤلاء لهم اعتراض على الشيخ فى هذه القصة يعنى كأنهم يقولون : هذه القصة لا تصلح دليلاً على ما ذهبت إليه .

ماذا يريدون من ذكر هذا ؟ يريدون أن يقولوا : إن الصحابة طلبوا وبنو إسرائيل طلبوا ونحن طلبنا أيضاً الشفاعة والقرب من الله بالصالحين , فمن حكم علينا بالشرك والكفر لزمه أن يحكم على الصابة وبنى إسرئيل بالشرك والكفر .

قال رحمه الله : [إن بنى إسرائيل لم يكفروا بذلك , وكذلك الذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات أنواط . لم يكفروا].

وكذلك نحن بفعلنا ما نفعل وبقولنا ما نقول لا نكفر , وإلا للزم من كفرنا أن يكفر أولئك .

كشف الشبهة :

قال رحمه الله : (فالجواب : أن نقول : إن بنى إسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعلوا ذلك ولا خلاف أن بنى إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا , وكذلك لا خلاف فى أن الذين نهاهم النبى صلى الله عليه وسلم لو لم يطيعوهـ , واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا , وهذا هو المطلوب) .

جواب الشيخ هذا فيه نظر , لا شك ولا ريب أن العلماء لم يختلفوا فى أن بنى إسرائيل والصحابة الذين طلبوا ذلك الطلب لم يعلموا ولم يكفروا , لكن ما الذى يمنع من تكفيرهم ؟ الجهل , لكن الشيخ هنا يقول : أن السبب المانع أنهم ما فعلوا ما طلبوهـ .

إذاً السبب المانع ليس هو عدم الفعل لأن الإنسان قد يكفر بالقول ويكفر بالفعل ويكفر بالإعتقاد ويكفر بالشك ــ يشك فى قدرة الله .

فمجرد هذا الطلب كفر , لأنهم اعتقدوا فى غير الله , ولو طلبوا فعلوا كفرهم من جهتين من جهة طلبهم ومن جهة فعلهم . إذاً ما المانع من كفرهم ؟ الجهل , وهذا هو المنصوص عليه فى الآية قال : [قوم تجهلون] .

وهكذا قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم , وشيخ الإسلام ابن تيميه ــ رحمه الله ــ فى " مجموع الفتاوى " :

(28 / 1. 5) . يقول :

[إن القوم كانوا حدثاء عهد بكفر كما جاء فى أول الحديث : فلا يكفرون لقرب عهدهم بالإسلام ويعذرون بجهلهم حتى تبلغهم الرسالة وتقوم عليهم الحجة] . وكذلك الشيخ عبد الله أبا ..... له كتاب اسمه .

يقول : [فإن قيل النبى صلى الله عليه وسلم لم يكفرهم بذلك قلنا هذا يدل على أن من تكلم بكلمة الكفر جاهلاً بمعناها ثم نبه فتنبه لم يكفر ولا شك أن هؤلاء لواتخذوا ذات أنواط بعد إنكار النبى صلى الله عليه وسلم لكفروا].

لماذا يكفرون بعد إنكارهـ ؟

لأنهم تعلموا . قال تعالى : [ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً] .

فنقول لهؤلاء : أولئك لديهم سبب منع من تكفيرهم وليس معنى هذا أنهم ما فعلوا كفراً ؟ لا , هم قالوا كفراً واعتقدوا كفراً , ولكن لم يكفروا لأجل جهلهم .

قال رحمه الله : (ولكن هذه القصة تفيد : أن المسلم ــ بل العالم ــ قد يقع فى أنواع من الشرك لا يدرى عنها , فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل ــ التوحيد فهمناهـ :

أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان . وتفيد أيضاً : أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر , وهو لايدرى فنبه على ذلك فتاب من ساعته , أنه لايكفر كما فعل بنو إسرائيل , والذين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم .

وتفيد أيضاً : أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً , كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

الشيخ رحمه الله : بعد ذلك ذكر فوائد من هذه القصة :

الأولى: أن المسلم ــ بل العالم قد يقع فى أنواع من الشرك لا يدرى عنها .مرادهـ أن الجهل قد يعرض لمن كان عندهـ علم فى أصل الأمر فلا شك أن هؤلاء الصحابة على علم بأصل (لا إله إلا الله) . ومعناها ودلائلها فى الجملة , لكن عرض لهم أمر خفى عليهم فقالوا تلك المقالة , وإذا كان هذا يعرض للعالم فغيرهـ من باب أولى .

ولذلك الشيخ رحمه الله على هذا الحديث فى "كتاب التوحيد " أوردهـ فى باب " من تبرك بشجر أوحجراً ونحوهما" قال فى مسائل هذا الباب :

[الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم من باب أولى] .

الثانية : قال : (فتفيد التعلم والتحرز) يريد أن الواجب المسلم أن يتحرز بكل أفعاله وأقواله وأن يتحقق من أمورهـ كلها , يقال : ولا سبيل له من الإحتياط فى أقواله وأفعاله إلا بالعلم , وهذه دعوى أن الإنسان يتعلم حتى لايؤتى من قبل جهله .

الثالثة : [ومعرفة أن قول الجاهل ..... الشيطان **]** وهذه تجدها عند كثير من الناس . ومرادهم من قولهم هذا : دعونا من هذا علمونا غيرهـ , علمونا الغسل , علمونا الوضوء والصلاة ..... , وهذا الذى يقول هذا القول جاهل بل قد أتى بأكبر الجهل وكاد له الشيطان , لأن الشيطان يأتى الناس إذا تركوا دراسة التوحيد وبعد عهدهم به كما فعل فى قوم نوح وفى الأزمنة كلها .

الإنسان الذى عرف التوحيد لا يشبع من دراسته والتفقه فى مسائله , وخصوصاً إذا رام عليه الناس فهو محتاج للدراسة المستمرة لأن خصوم التوحيد كثر , يحتاج أولاً أن يقى نفسه وأن يجعل لها سياجاً منيعاً من أن يتسرب إليه شيئاً من الشرك أوالكفر , فإذا تم له هذا فإنه مسؤل عن دعوة غيرهـ .

الرابعة : (وتفيد أيضاً : أن المسلم المجتهد .....سألوا النبى صلى الله عليه وسلم) .

والآن الشيخ رحمه الله ــ يرجع الأمر إلى أى شئ ؟ الشيخ هنا علق الكفر بمجرد الكلام , وهنا الشيخ يقرر مسألة العذر بالجهل , قال (فنبه على ذلك) , المراد بهذا أنه علم وأقيمت عليه الحجة .

الخامس : [وتفيد أيضاً : أنه لو لم يكفر ..... كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم] وتغليظ الكلام , يعنى تخشينه يعنى أن تخشن له العبارة وهذا هو الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم وشاهدهـ فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم سبح متعجباً ومنزهاً لله عن هذا الفعل ــ ثم أنه صلى الله عليه وسلم أقسم بعد ذلك أن مقالتهم هذه كمقالة بنى إسرائل . ثم ذكر لهم ماهو واضح ليعلموا خطورة ما قالوا , ما الواضح ؟
مقالة بنى إسرائل , ما الذى قالوهـ ؟ " اجعل لنا ذات أنواط " . ثم قال : " إنها السنن " .
فذكر أن سنة أولئك ستقع فيمن يأتى بعدهم .
الشيخ أيضاً فى مسائل كتاب التوحيد على هذا الباب قال :
(فغلظ الأمر بهذه الثلاث) ما هى الثلاث ؟ التى ذكرت ــ وإذا رجعت إلى كتاب التوحيد تجد أن الشيخ فى المسألة السابعة قال : [إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله " الله أكبر إنها السنن " " لتركبن سنن من كان قبلكم " فغلظ الأمر بهذه الثلاث"] .
إذاً الجاهل يغلظ عليه وينكر عليه إنكاراً شديداً من أجل أن يعظم فى قلبه وقع ما إرتكب , فهو لا يعذر فى التغليظ وشدة الإنكار .

الشبهة الثانية عشرة :

قال رحمه الله : (وللمشركين شبهة أخرى يقولون : إنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال: " لا إله إلا الله " , وكذلك قوله " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله " . وأحاديث أخرى فى الكف عمنّ قالها , ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر , ولا يقتل ولو فعل ما فعل) .

فى الشبهة العاشرة ذكر رحمه الله : ــ أدلة تدل على أن المسلم إذا تلبس بأحد نواقض الإسلام يرتد ويكفر ويخرج عن دائرة الإسلام . فى هذه الشبهة جاء أهل الباطل بأدلة يزعمون أنها تؤيد باطلهم , يعنى كأنهم يقولون للشيخ : كما أنك ذكرت أدلة تؤيد بها ما ذهبت إليه فنحن كذلك لنا أدلة نؤيد بها ما ذهبنا إليه .

ما الفرق بين هذه الشبهة والشبهة العاشرة ؟

الفرق أنهم بعد أن سمعوا أدلة الشيخ , قالوا : نحن كذلك لنا أدلة , فهذه الشبهة فيها إيراد الأدلة على باطلهم . فمن قال : (لا إله إلا الله) عندهم سلم من أمرين , ما هما ؟ الكفر والقتل .

كشف الشبهة :

قال رحمه الله : [فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون : " لا إله إلا الله "] .

الشيخ الآن بدأ فى رد هذه الشبهة وأنت إذا تأملت فى كلامه وجدت أن الشيخ رحمه الله يرد هذه الشبهة بأمرين :

الأول :

إثـــبـــــــــات دلـــيـــل قـــولـــه .

الثانى :

إبطـــــال دلـــــيـــــل الخـــــصـــم .

وبدأ بالأمر الأول :

اليهود يقولون : " لا إله إلا الله " والدليل أن الرسل جميعاً جاءوا بـ " لا إله إلا الله " ومع ذلك ما نفعتهم هذه الكلمة .

قال رحمه الله : (وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدَّعون الإسلام) .

بنو حنيفة هم أتباع مسيلمة , وهم كفروا ووجه كفرهم أنهم ادعوا أن مسيلمة نـــــــــبى .

لماذا لم تنفعهم لا إله إلا الله ؟ مع أنهم يصلون ويصومون لماذا ؟ هذا الحجة فيه طاهرة .

قال رحمه الله : (وكذلك الذين حرقهم على بن أبى طالب بالنار) . كفرهم على ـ رضى الله عنه وقتلهم .

قال رحمه الله : (وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله , وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل لو قالها) .

الشيخ هنا يحتج عليهم بالمتفق عليه لتقرير المختلف فيه , ويستعمل فى ذلك قياس الأولى .

فكأنه يقول لهم : ما رأيكم فى رجل أنكر البعث وهو يقول " لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله " ويصلى ويصوم ويزكى ويحج ؟ يقولون كافر .

لماذا لم تنفعه " لا إله إلا الله " ؟ أنتم تقولون أن من قال " لا إله إلا الله " يكون مسلماً بمجرد النطق ولا يخرج عن الإسلام مهما فعل ولا يقتل , فهذا الذى أنكر البعث أنتم تكفرونه لماذا لم تعصم " لا إله إلا الله " هذه التى قالها مع إنكارهـ للبعث دمه وماله ؟ ولماذا حكمتم عليه بالكفر ؟

قال رحمه الله : [فكيف لا تنفعه إذا جحد فرع من الفروع] :

هم يسمون العقائد الأصول , والعبادات يسمونها بالفروع .

قال رحمه الله : (وتنفعه إذا جحد التوحيد الذى هو أصل دين الرسل ورأسه)

يعنى يقول لهم : أنتم تقرون أن هذا الرجل إذا جحد فرع من الفروع كفر ولو كان يقول " لا إله إلا الله " ويصلى ويصوم ويحج , فكيف لا تنفعه إذا جحد فرع من الفروع وتنفعه إذا جحد أصلاً بل هو أصل الأصول ؟ ! .

ومراد الشيخ : أنه إذا جحد فرع من الفروع لا تنفعه " لا إله إلا الله " ولو قالها , فمن باب أولى أن من جحد التوحيد الذى هو الأصل لا تنفعه " لا إله إلا الله " .

قال رحمه الله : (ولكن أعداء التوحيد ما فهموا معنى الأحاديث) .

من هذا بدأ الشيخ وشرع فى الأمر الثانى , وهو إبطال دليل الخصم ـ هذه الجملة فيها بيان سبب ما ذهب إليه المبطلون وهو الجهل .

قال رحمه الله : (ولن يفهموا) (1) {1} هذه الزيادة فى بعض النسخ .

هذه العبارة محمولة على الغالب فيهم , لأن القلب إذا أشرب الباطل صعب زواله منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الخوارج [تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه , فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله] . من حديث معاوية فى المعجم الكبير للطبرانى . وهذا فيه دليل على تمكن الباطل فى نفوس أهله .

" الكَلَب " هو داء السعر , فالسعر إذا دخل فى الجسم ينتشر يدخل فى العروق ويدخل فى المفاصل وهذا الباطل يدخل فى القلب حتى يتمكن منه , وهذا نوع من العقوبة لكل من أعرض عن الكتاب والسنة الله جل وعلا يبتليه بهذه الأمور .

قال رحمه الله : [فأما حديث أسامة , فإنه قتل رجلاً إدعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله] .

الشيخ يريد أن يبين لك أن الواجب على الإنسان أن ينظر فى جميع الأدلة ثم يستخلص منها الأحكام هذه طريقة أهل العلم , بخلاف أهل الزيغ فهم ينظرون فى بعض النصوص ويتركون بعضها كما فعل الخوارج فهم نظروا فى نصوص الوعيد والمرجئة نظروا فى نصوص الرجاء , وأهل السنة جمعوا بين النصوص .

أسامة رضى الله عنه لماذا قتل الرجل ؟

الشيخ يبين لك السبب { بسبب أنه ظن أنه ما إدعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله } .

قال رحمه الله : (والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك) .

الرجل إذا نطق بالشهادتين نقول : هذا قد دخل فى الإسلام , ثم ننظر فى حاله , إذا أتى ما يناقض هذه الكلمة كلمة التوحيد ثم جاء ببقيت الشرائع هذا إستمرار منه على دينه وعلى إسلامه . وإذا جاء بما ينقض كلمة التوحيد كفر , وإذا كفر يقتل ـ يستتاب . فإن تاب وإلاقتل ـ وإذا لم يأت بما يناقض كلمة التوحيد وترك الصلاة أيضاً يكفر فيستتاب ويقتل ردةَ .

وإن أتى بكلمة التوحيد ولم ينقضها وصلى ولم يأت ببقية الشرائع قتل وإن لم يحكم بكفرهـ .

قال رحمه الله : (وأنزل الله تعالى فى ذلك : [يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا], أى فتثبتوا, فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت , فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل , لقوله تعالى :

(فتبينوا) ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبيت معنى) .

يعنى لو كان كل من قال [لا إله إلا الله] يكف عنه ويترك مهما قال ما قال ومهما فعل ما فعل لما قال الله :

(فتبينوا) , نتبين من أى شئ ؟ المراد تبينوا من صحة إسلامه كيف نتبين من صحة إسلامه ؟ والإسلام عندكم يصح من الرجل بمجرد قول " لا إله إلا الله " وإن فعل بعدها ما فعل ؟

قال رحمه الله : (وكذلك الحديث الآخر)

يريد حديث " أمرت أن أقاتل الناس " الحـــــــــديث " .

قال رحمه الله : (معناهـ ما ذكرناهـ)

أيضاً هذا الحديث وأمثاله معناهـ ما ذكرناهـ , ما الذى ذكرهـ ؟

قال رحمه الله : (أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك) .

إذا ظهر منه بعد نطقه بالشهادتين ما يناقض قوله كان لنا معه شأن آخر . ونفس الحديث (أمرت أن أقاتل الناس) هذا حجة عليهم , ولذلك قال عمر لأبى بكر : (كيف تقاتل من قال لا إله إلا الله) ؟ كذلك هذه الشبهة وقعت فى نفس عمر رضى الله عنه فظن أن من قال لا إله إلا الله يكف عنه ولا يقاتل , فقال أبوبكر ــ رضى الله عنه ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس .....) الحديث " إلا بـــحـــقـــهـــا " .

قال والزكاة حق المال والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه , وقال : والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . [1] .....

فهذا حجة عليهم فى أن أبا بكر قاتل أهل الردة قتال كفر وقاتل بعض ما نعى الزكاة قتال الطوائف الممتنعة على إثبات شعيرة من الشعائر , ولا شك أن الناس إذا إمتنعوا عن اثبات شعيرة من الشعائر يقاتلون ولو لم نحكم بكفرهم.

فمثلاً لو أن أناساً إمتنعوا الآذن أو عن صلاة العيدين أو عن صلاة الجمعة هؤلاء يقاتلون عليها ولا يلزم من قتالهم التكفير .

قال رحمه الله : (والدليل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله) وقال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله) . هو الذى قال فى الخوارج .)

وهذا شاهد ما قدمناهـ من كلام الشيخ وهو أن الواجب على الإنسان أن ينظر فى النصوص جميعاً ثم يستخلص منها الأحكام لا يغمض عينه عن بعضها وينظر إلى بعضها .

قال رحمه الله : ([أينما لقيتموهم فاقتلوهم , لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد] مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً) .

مراد الشيخ أن يقول لك : النبى صلى الله عليه وسلم ما أراد مجرد التلفظ ولا أراد أن من تلفظ بها لا يكفر ولا يقتل مهما قال ما قال أوفعل ما فعل والدليل على هذا قوله فى الخوارج " أينما لقيتموهم " والخوارج يصومون ويصلون ويزكون ويحجون . وقال عنهم : [هم شر قتلى تحت أديم السماء] وقال : [طوبى لمن قتلهم أو قتلوهـ] .

قال رحمه الله : [حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم , وهم تعلموا العلم من الصحابة , فلم تنفعهم لا إله إلا الله] .

أى لم تنفعهم فى عصمة دمائهم , لأن النبى صلى الله عليه وسلم حكم بقتلهم سواء قلنا بكفرهم أم لا , فبعضهم يذهب إلى تكفيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم : (يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية) . ومن العلماء المعاصرين الشيخ ابن باز رحمه الله فهو يقول بتكفيرهم , والخلاف بين السلف فيه .

قال رحمه الله : (ولا كثرة العبادة , ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة) .

لذلك الإنسان ما يغتر بعبادة العباد ولا بقراءة القراء ولا يغتر أن زيداً أو عمراً يعنى طالب العلم عند الشيخ فلان وعند الشيخ فلان وفلان ما يغتر بهذا , فالعبرة بالإستقامة بالمنهج الحق . فلذلك الصحابة لم يقيموا لعبادة الخوارج ولا قراءتهم وزناً لما عليهم من البدع .

قال رحمه الله : (وكذلك ما ذكرناهـ من قتال اليهود وقتال الصحابة بنى حنيفة , وكذلك أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يغزو بنى المصطلق لما أخبرهـ رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله : [ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباءٍ فتبينوا] وكان الرجل كاذباً عليهم) . فى حقيقة أنه تأول ونقل للنبى صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء إنما أرادوا قتله , فنقل هذا للنبى صلى الله عليه وسلم وحديثه فى مسند الأمام أحمد رحمه الله ــ وفيه : أن الحارث بن أبى الندار الخزاعى قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به فدعانى إلى الزكاة فإقررت بها وقلت يارسول الله أرجع إلى قومى فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لى جمعت زكاته فيرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً لأّيان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإيّان الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس على الرسول فلم يأته فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لى وقتاً يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخُلْفُ ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت فانطلقوا فنأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم , وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عندهـ مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرِق فرجع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله إن الحارث منعنى الزكاة وأراد قتلى فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم قالوا إليك قال : ولم , قالوا :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله قال : لا والذى بعث محمداً بالحق ما رأيته بتةً ولا أتانى فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : منعت الزكاة وأردت قتل رسولى , قال : لا والذى بعثك بالحق ما رأيته ولا أتانى وما أقبلت إلا حين احتبس على رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله قال فنزلت الحجرات : [يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباءٍ فتبينوا] إلى هذا المكان (فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم) .
فتأمل كيف هم النبى صلى الله عليه وسلم بقتل هؤلاء مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

قال رحمه الله : (وكل هذا يدل على أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث التى احتجوا بها ما ذكرناهـ) .

ما مراد النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال الشيخ (ما ذكرناهـ) , ما الذى ذكرهـ الشيخ وقررهـ ؟ أن من قال لا إله إلا الله يكف عنه حتى يأتى بما يناقض ذلك أو بما يخالف ذلك .الله جل وعلا يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم :
(لئن أشركت ليحبطن عملك) والنبى صلى الله عليه وسلم يصلى ويصوم .... إذاً هناك أسباب وموجبات للشرك بل قال عن الأنبياء : (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) .
وقال : (ومن يكفر بالإيمان) . إذاً هناك أمور تجعل الإنسان يكفر . وكذلك القتل يحصل إذا وجدت أسبابه مثلاً النبى صلى الله عليه وسلم قال : [لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : السيب الزانى .....] .
وقتال البغاة قال تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله فإن فأت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) .

فسماهم مؤمنين ولكن أمر بقتال البغاة فهم لا يقاتلون قتال كفر . وكذلك قتل أهل الفساد هؤلاء يقتلون ليكف شرهم على الناس قال تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أن يقتلوا أو يصلبوا .....) .

وليس هناك تلازم بين القتل والحكم بالكفر , يعنى ليس من قتل يكون كافر .

الشبهة الثالثة عـــشرة

قال رحمه الله : (ولهم شبهة أخرى : وهو ما ذكرهـ النبى صلى الله عليه وسلم : أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم , ثم بنوح , ثم بإبراهيم , ثم بموسى , ثم بعيسى , وكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالوا فهذا يدل على أن الإستغاثة بغير الله ليس شركاً) .

مرجع هذه الشبهة :

الجهل بالمعنى الصحيح للإستغاثة , والجهل كذلك بالشرعى الجائز من الإستغاثة وبالشركى المحرم منها .

مرادهم من إيراد هذه الشبهة يريدون أن يقولوا : جاءت أحاديث تدل على أن الناس يوم القيامة يستغيثون بالأنبياء من كرب الموقف وهذا يدل على أن الإستغاثة بغير الله جائزة ولا تعد شركاً , فلا يجوز أن تنكروا على من استغاثة بغير الله , وأن تحكموا على من استغاثة بغير الله أنه مشرك أو كافر .

الشيخ رد هذه الشبهة وبين لهم أن إستدلالهم هذا فى غير محل النزاع , وذلك أن الإستغاثة نوعان :

1ـ جائـــــــزة وهى الإستغاثة بالمخلوق الحى الحاضر فيما يقدر عليه , وهذا الدليل الذى جاءوا به ينطبق على هذا النوع , والشيخ ما نازعهم فى هذا .

2ـ المـحـرمـــة ؛ وهى الإستغاثة بغير حاضر أو ميت أوغائب فيما لا يقدر عليه , وهذه هى محل النزاع .

كشف الشبهة :

قال رحمه الله : (والجواب : أن نقول سبحان من طبع على قلوب أعدائه) .

فخفية عليهم هذه الأمور البينة الواضحة , وهذا من الخزلان وعدم التوفيق لأن الله جل وعلا يقول : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) . ويقول : (ومن يتق الله يجعل له فرقانا ً) .

قال رحمه الله : (فإن الإستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها) .

هذا هو النوع الأول : الإستغاثة الجائزة :

قال رحمه الله : (كما قال الله فى قصة موسى : [فستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوهـ] , وكما يستغيث الإنسان بأصحابه فى الحرب أو فى غيرهـ فى أشياء يقدر عليها المخلوق ونحن أنكرنا إستغاثة العبادة التى يفعلونها عند قبور الأولياء أو فى غيبتهم فى الإشياء التى لا يقدر عليها إلا الله) .

الإستغاثة نوع من الدعاء وهى دعاء فى حال كربه والدعاء عبادة وصرف العبادة لغير الله لا يجوز , هذه هى التى أنكرها الشيخ [فى غيبتهم] تـــــــنافى الحضور .

[فى الأشياء التى لا يقدر عليها إلا الله] تنافى الأشياء التى يقدرون عليها .

قال رحمه الله : (إذا ثبت ذلك) .

يعنى إذا ظهر لك أن الإستغاثة , نوعان منها ما هو جائز , ومنها ما هو محرم , واستقر عندك هذا الأمر .

قال رحمه الله : (فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف . وهذا جائز فى الدنيا والآخرة) .

يعنى الشيخ يريد أن يقول لك : فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضر والسوء .

" الـــسـوء " : مفردهـ حرف بفيد العموم ـ وهذا شرك , وبين من يسأل المخلوق أن يدعوا له الله .

ولذلك الشيخ يبين أن الناس ما دعوا الأنبياء يوم القيامة يقولون للأنبياء : يا معاشر الأنبياء : يا إبراهيم , ياموسى , ياعيسى أكشفوا عنا هذا الكرب ؟ لا مايقولون هذا , وإنما يقولون : أدعوا الله لنا أن يكشف عنا الضر , إذاً سألوا الأنبياء وهم أحياء حاضرون قادرون أن يسألوا لهم الله ليكشف عنهم الضر , وهذا جائز لا شئ فيه . ما هذا الذى يجوز فى الدنيا والآخرة ؟

قال رحمه الله : (وذلك أن تأتى عند رجل صالح حى يجالسك , ويسمع كلامك , فنقول له : ادع الله لى . كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ذلك فى حياته) .

يعنى الصحابة فى حيات النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يدعو لهم , وأدلة هذا كثيرة من السنة منها :

1ـ ما أخرجه الإمام مسلم " صحيحه " أن أم أنس بن مالك جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له : يارسول الله هذا أنيس ابنى أتيتك به يخدمك فادع الله له , فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (اللهم أكثر ماله وولدهـ) .

2ـ ما أخرجه الإمام مسلم فى قصة إسلام أبوهريرة رضى الله عنه أن أبا هريرة قال : يارسول الله ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عبادهـ المؤمنين وادع الله أن يحببهم إلينا , فقال النبى

صلى الله عليه وسلم : [اللهم حبب عبيدك هذا ـ يعنى أبوهريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين] قال أبوهريرة : فما خلق مؤمن يسمع بى ولا يرانى إلا أحبنى وهذا فيه دليل على أن الذى يبغض أباهريرة يتفقد دينه .

3ـ ما أخرجه ابن حبان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال :

جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها لمم , فقالت : يارسول الله ! ادع الله أن يشفينى , قال :

(إن شئت دعوت الله لك فشفاك , وإ، شئت صبرت ولا حساب عليك) . فقالت : بل أصبر ولا حساب علىّ . وله شاهد من حديث ابن عباس وزاد : [فقالت إنى أتكشف , فادع الله لى أن لا أتكشف . فدعا لها] . صححه الإمام الألبانى رحمه الله فى " السلسلة الصحيحة " .

4ـ ما أخرجه البزار فى " مسندهـ " وصححه الألبانى فى " الصحيحة " من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: [لما رأيت من النبى صلى الله عليه وسلم طيب النفس , قلت يارسول الله ! ادع الله لى : (اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها ما تأخر وما أسرت وما أعلنت] الحـــــــــديث .

هذه الأدلة فى الدنيا , أما فى الآخرة الدليل عليه حديث الشفاعة .

قال رحمه الله : (وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوهـ ذلك عند قبرهـ , بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره , فكيف بدعائه نفسه !!!) .

" قوله أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبرهـ " هذا يشير إلى حديث على بن الحسين بن على بن أبى طالب أنه رأى رجلاً يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعوا الله فنهاهـ , وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

[لا تتخذوا قبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً , وصلوا علىّ فإن تسليمكم يبلغنى حيث كنتم] أخرجه الأمام أحمد وأبو داود .

الشبهة الرابعة عشرة

قال رحمه الله : (ولهم شبهة أخرى : وهى قصة إبراهيم لما ألقى فى النار اعترض له جبريل فى الهواء , فقال لك : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم : أما إليك فلا . فقالوا : فلو كانت الإستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم) .

مرجع هذه الشبهة :

الجهل بمعنى الإستغاثة , والجهل بالشرعى منها والشركى المحرم . مرادهم من إيراد هذه الشبهة أن يقولوا : إن جبريل عليه السلام عرضه على إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين

قذف بالمنجنيق إلى النار أن ينفعه ويخلصه من النار وهذا العرض دليل على جواز الإستغاثة بغير الله وهى لا تعد شركاً إذ لوكانت شركاً لما عرضها جبريل عليه السلام على إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

كشف الشبهة :

قال رحمه الله : [فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى] .

إذاً لما كانت هذه من جنس الأولى أجاب عليها بنفس الجواب , وهو أن غاية ما فى هذه القصة استغاثة بمخلوق حى حاضر قادر وهذا لا شئ فيه وليس هذا بموضع نزاع .

قال رحمه الله : (فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدرعليه , فإنه كما قال تعالى فيه : [شديد القوى]).

فجبريل حى وحاضر وقادر لقوله تعالى : (شديد القوى) .

قال رحمه الله : (فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها فى المشرق أو المغرب لفعل , ولو أمرهـ أن يضع إبراهيم فى مكان بعيد عنهم لفعل , ولو أمرهـ أن يرفعه إلى السماء لفعل) .

وهذا صحيح , جبريل خلقه عظيم , ولذلك لما أراد الله إهلاك قوم لوط أدخل جبريل جناحه فى الأرض فقطعها

عليهم ثم أخذ قوم لوط بأسرهم ورفعهم إلى السماء حتى جاء إن الملائكة سمعت أصوات الديوك ــ ثم قلبها بهم وجعل عاليها سافلها ــ فهذه إستغاثة بحى حاضر قادر .

ثم بعد ذلك الشيخ مثل بمثال يريد به تقريب معنى ما قررهـ , لأن الأمثلة تضرب لتقريب المعانى .

قال رحمه الله : (وهـــــــــــــــذا)

يعنى ما حصل من قصة جبريل مع إبراهيم عليهما السلام .

قال رحمه الله : (كرجل غنى له مال كثير , يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه , أو أن يهبه شيئاً يقض به حاجته , فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ؛ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منَّة فهي لأحد) .

فهذا إن أخذ من مال هذا الرجل جاز له , سواء كان قرضاً أو هبة لأن البنى صلى الله عليه وسلم قال :

[من أتاهـ الله شيئاً من هذا المال من غير أن يسأله فليقبله فإنما هو رزق ساقه الله إليه]

رواهـ أحمد وقال الآلبانى فى " صحيح الترغيب " (صحيح لغيرهـ) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

فلا نقول أن هذا إذا أخذ من هذا المال شيئاً وفرج عليه ما فيه من عسر أنه أشرك . وكذلك لا نقول إن هذا الرجل عرض على هذا الفقير أمراً محرماً .

قال رحمه الله : (فإين هذا من إستغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون) .

ثم كذلك لو تأملت فى القصة فهى حجة عليهم , يمكن أن يقال لهم : لماذا لا ترفضون النجاة لغير الله والإستغاثة بغير , ولماذا لا تستغنون عن الخلق كما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذى جعله الله إسوة لنا قال تعالى :

[لقد كانت لكم اسوة حسنة فى إبراهيم] وقال : [ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً] وقال : [قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً] وقال : [أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتدهـ] .

وقالوا أيضاً : لو كانت الإستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم .

نقول لهم : عرض جبريل له هذا لا يدل على جوازها , لأنه ربما أنه عرضها عليه إبتلاً وإختباراً أراد الله أن يمحصه وأن يعلم توحيدهـ . وهذا كله على التسليم بصحة القصة , لأن القصة غير صحيحة أنكرها جمع من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله ـ وكذلك الشيخ الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة , الحديث رقم " 21 " أورد هذا وقال : (لا أصل له) , وقال :

(وبالجملة فهذا الكلام المعزو لابراهيم عليه السلام لا يصدر من مسلم يعرف منزلة الدعاء فى الإسلام فكيف يصدر ممن سمانا المسلمين ؟!) . وكذلك الحديث موجود فى تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة .

[قال ابن تيميه موضوع] .

فمن جهة سندهـ : لا أصل له فى المرفوع وهو من الإسرائليات . [أنظر السلسلة] .

أما من جهة متنها : [إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال له جبريل : ر..... ربك , فقال : حسبى من سؤالى علمه بحالى] وابن تيميه يقول : " ليس له إسناد صحيح بل هو باطل " , والذى ثبت فى الصحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنه أنه قال :

[حسبى الله ونعم الوكيل] قالها إبراهيم حين ألقى فى النار , وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس:

[إن الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم] فهو قال : (حسبى الله ونعم الوكيل) وما قال : حسبى من سؤالى علمه بحالى .

فكيف إذا نظمت هذه المقالة إلى تفصيله لحاله وحال أهله لما قال : (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا .....) الآية , إلى آخر الآيات وكلها أدعية . فسبحان الله ! الله يعلم أنه أسكن من ذريته بواد غير ذى ذرع عند بيت الله المحرم ؟ ولكن ذكر هذه الأمور وهذه التفاصيل فيه غاية الإنكسار والذل لله تبارك وتعالى .

[فأين هذا] :ـ أى القصة وما تضمنته من الإستغاثة الجائزة .

معرفة التوحيد تفتح مدارك الإنسان وتزيد فى فهمه , والله جل وعلا أشار إلى هذا فى قول يوسف عليه السلام :

(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى) , بسبب ماذا ؟

(إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) .

وكذلك فى قصة بلقيس قال تعالى :

(قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين * وصدها ما كانت تعبد من دون الله) . وبهذا يكون موضوع الكتاب قد انتهى وبقية الخاتمة .

الخاتمة

قال رحمه الله : (ولنختم الكلام ــ إن شاء الله ــ بمسألة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم , ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها , ولكثرة الغلط فيها) .

إذا هذه هى خاتمة هذه الرسالة , فما مضى من موضوع الرسالة راجع إلى العلم بالتوحيد وبيان أنه الحق ورد شبهات أهل الباطل حوله . والخاتمة راجعة إلى العمل بهذا التوحيد لأن الشيخ فى زمانه عانى من صنفين من الناس :

1/ من عارضوهـ وعارضوا الدعوهـ إلى التوحيد وأثاروا حولها الشبهات , وهؤلاء رد عليهم فى أصل الكتاب .

2/ من وافقوهـ وشهدوا أن ما جاء به حق ولكنهم ما عملوا بما علموا من التوحيد فما استقاموا على التوحيد ولا تبرأوا من الشرك والمشركين لأعذارٍ عندهم , وهؤلاء رد عليهم الشيخ رحمه الله فى هذه الخاتمة .

قال رحمه الله : (فنقول : لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل , فإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلماً) .

التوحيد لابد أن تجتمع فيه ثلاثة أمور :ـ

1ـ اعتقاد القلب :

أن يعتقد القلب صحة هذا التوحيد وأن الله هو الذى يستحق العبادة وحدهـ دون من سواهـ , وأن كل من سوى الله لا يجوز أن يعبد أبداً , وأن من عبد من دون الله تبارك وتعالى فإنه يكون قد عبد الباطل , وأن المعبود الحق هو الله .

2ـ قول اللســــــان :

يعنى أن يصرح الإنسان وتتكلم بلسانه مفصحاً عما انطوى عليه قلبه من العقيدة الصحيحة فينطق بــ " لا إله إلا الله " ويشهد بها ويتبرأ من الشرك وأهله .

3ـ عمل الجوارح :

يعمل بمقتضى علمه بالتوحيد , أن يفرد الله وحدهـ بالعبادة دون من سواهـ , ولا يعبد غير الله البته ولا يتقرب بشئ من عبادته لغير الله .

إذا أتى الإنسان بهذه الأمور الثلاثة هذا هو المسلم , فإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلماً ً . والشيخ بعد هذا يفصل لك فى أحوال الناس .

قال رحمه الله : (فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما) .

هذا جاء بإعتقاد القلب , المراد بالمعرفة هذا الإعتقاد , فهذا كافر إما أن يكون كفرهـ كفر جحود وإما أن يكون كفرهـ كفر إيباء واستكبار .

قال رحمه الله : (وهذا يغلط فيه كثير من الناس) .

وجـــــــــــه غـــــلطهـــــم .

قال رحمه الله : (يقـــــــــولـــــــون : هـــــــذا حـــــــق) .

الإشـــــــارة هنـــــــــــا إلى التـــــــــــوحيـــــــد .

قال رحمه الله : (ونحن نفهم هذا , ونـــشـــهد أنه الحق , ولـــكـــنا لا نقـــدر أن نـــفـــعلـــه) .

هؤلاء تخلف عنهم العمل , لماذا لم يعملوا ؟

قال رحمه الله : (ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم) .

لأن أهل بلدهم ينكلون بكل من لم يوافقهم على ماهم عليه من الشرك والكفر والعقائد الفاسدة والباطلة , ولذلك هؤلاء اعتذروا بهذا .

قال رحمه الله : (أو غير ذلك من الإعـــــــــــذار) .

أى من الإعذار التى يعتذرون بها , وليس هى بأعذار فى الحقيقة يعذرون بها . إذاً ً هؤلاء ليسوا بمسلمين .

قال رحمه الله : (ولم يـــــــــــــدر المـــــــسكيـــــن).

.....

.....

.....

قال رحمه الله : (أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق , ولم يتركوهـ إلا لشئ من الإعذار) .

الإعذار عندهم وليست هى بأعذار عند الله تصوغ لهم ما فعلوهـ .

إذاً ً هذا المسكين ما عرف أن كثير من الكفار كفروا مع معرفتهم للحق ولكنهم تركوا الحق لعذر عندهم .

قال رحمه الله : (كما قال تعالى : " اشتروا بآيات الله ثمناً ً قليلاً ً ") .

هذا من الأعذار أن بعض علماء السوء اشتروا بتوحيدهم بشئ من عرض الدنيا الزائف كما قال النبى صلى الله عليه وسلم **: [يمسى الرجل مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا] .**

فهؤلاء عندهم عذرهم ــ فى ظنهم ــ وهو الميل للدنيا وآثروها على الآخرة واستبدلوها بالتوحيد .

قال رحمه الله : (وغيـــر ذلك من الآيـــــات) .

يعنى الدالة على أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق وإنما تركوهـ لأعـــذار .

قال رحمه الله : (كقوله : [يعرفونه كما يعرفون أبناءهم]) .

هؤلاء عرفوا الحق واعتقدوا فى قلوبهم كما أن الواحد منهم لا يشك فى ابنه وكذلك لا يشك فى الحق , ما الذى جعل هؤلاء يتركون الحق ويؤثرون الباطل على الحق ؟

لاشـــــك أن هنـــاك أسبـــاب .

قال رحمه الله : (فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه أولا يعتقدهـ بقلبه) .

هذا وافق فى العمل إلا أنه تخلف فى الإعتقاد , هذا يكون كافر كمن أظهر الإسلام وهو لا يعتقد عقيدة الإسلام هذا من المنافقين .

قال رحمه الله : (فهو منافق , وهو شر من الكافر الخالص لقوله تعالى : [إن المنافقين فى الدرك الإسفل من النار]) .

وهذه المسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملتها فى ألسنة الناس . أى مسألة العمل بالتوحيد .

قال رحمه الله : (ترى من يعرف الحق ويترك العمل به)

الحـــــــق أى التـــــوحـــيد .

قال رحمه الله : (لخوف نـــــــقــص دنيـــــــــا) .

هذه أعذار الناس بعضهم يخاف أن تنقص دنياهـ , أن يـــنـــقــص ماله .

قال رحمه الله : (أو جـــــــــــاهـ) .

لأنه إن تابع أهل التوحيد ينقص جاهه , مثلاً يكون الرجل فى حزب من الأحزاب وهو مقدم فيخشى إن وحد الله أن يفقد هذه المنزلة وهذه المكانة .

قال رحمه الله : (أومـــــــداراة لأحـــــــد) .

المداراة مراد الشيخ منها المداهنة , لأن المداراة جائزة . والفرق بينهما أن المداراة درءُ شر المفسد بالقول واللين وترك الغلظة , أو الإعراض عنه إذا خفت من شرهـ دون ترك للحق .

وأما المداهنة أن تترك ما يجب لله وتتغافل عن ذلك لأجل غرض دنيوى أو هوى فى نفسك (1) : ترى رجل على منكر فتترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو أنك تتغافل عنه كأنك ما رأيته وكأنك ما سمعت كلامه , فهذا لا يجوز لأن فيه شئ من التنازل عن الحق .

قال رحمه الله : (وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً) .

وكذلك من أصناف الناس أن منهم من يعمل بالتوحيد فى الظاهر , وهذا هو المنافق , وهذا هو الذى يريد المصلحة من أهل التوحيد . فالأول يريد المصلحة من أهل الشرك والعقائد الفاسدة , والثانى يريد المصلحة من أهل التوحيد .

قال رحمه الله : (فإذا سألته عما يعتقدهـ بقلبه فإذا هو لا يعرفه) .

ما التوحيد ؟ ما مقتضى التوحيد ؟ لا يعـــــــــرف .

قال رحمه الله : (لكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله) .

" عليك " : فعل أمر بمعنى إلزم . يعنى أن هاتين الآيتين يجليان لك الأمر تماماً , أمر أى شئ ؟

معرفة الذى يعذر لترك العمل بالتوحيد والذى لا يعـــذر .

قال رحمه الله : (أولاهما : قوله تعالى : [لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم] فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول صلى الله عليه وسلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب , تبين لك أن الذى يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مال أو جاهـ أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها].

هؤلاء الذين تكلموا بكلمة الكفر مزاحاً كفروا , وعندنا رجل يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً أن ينقص ماله أوجاهـ هذا لا شك فى كفرهـ . الله قال لهم :

[لا تعتذروا] : إذاً هذا العذر غير مقبول , مراد الشيخ : أن من كفر مازحاً فإن عذرهـ غير مقبول .

قال رحمه الله : (والآيـــــــة الثـــــــانية) , وهذه الحجة فيها أقوى .

قال رحمه الله : (قوله تعالى : [من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكرهـ وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين]) .

" من كفر بالله من بعد إيمانه " : هذا عموم , وأخذناهـ , من .....

" من " وهى اسم موصول تفيد العموم . معنى الآية : من كفر بالله من بعد إيمانه يكون كافراً .

" إلا من أكرهـ وقلبه مطئن بالإيمان " : هذا مستثنى من هذا العموم يعنى لا يكون كافراً .

إذاً الله ما ستثنى ممن يتكلمون بالكفر أو يفعلون الكفر إلا من المكرهـ وقلبه مطمئن بالإيمان , إذاً من فعل الكفر مستهزئاً بكفر لأنه داخل فى العموم , ومن قال الكفر أو فعله يخاف

ينقص ماله يكفر , ومن فعله أو قال يخاف أن ينقص جاهه يكفر , ومن فعل الكفر أو قاله مداراة لأهل بلدهـ يكفر .

والمكرهـ يوجد فيه شرط أن يكون قلبه مطئن بالإيمان , وهذا يؤخذ منه أن غير المكرهـ إذا تكلم أو فعل الكفر يكفر وإن كان قلبه مطئن بالإيمان . وكذلك إذا انشرح صدرهـ بالكفر ولو لم يتكلم هذا يكون كافراً .

قال رحمه الله : (فلم يعذر الله من هؤلاء إلا المكرهـ مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان . وأما غير هذا) .

الإشارة إلا المكرهـ وقلبه مطمئن بالإيمان .

قال رحمه الله : (فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفاً , أومداراة أو مشحة بوطنه (1) أو أهله أوعشيرته أو ماله أوفعله على جه المزح , أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكرهـ) (1) أى أنه كان الواجب عليه الهجرة لكنه شح بوطنه يعنى بخل على الله بوطنه , صار وطنه عزيزاً عندهـ أعز عليه من التوحيد .

فالآية تدل على هذا من جهتين :

ـــ الجهة الأولى :

قوله : [إلا من أكرهـ] فلم يستثن الله تعالى إلا المكرهـ . ومعلوم أن الإنسان لا يكرهـ إلا على الكلام أو الفعل , وأما عقيدة القلب فلا يكرهـ عليها أحد .

ـــ الجهة الثانية :

قال رحمه الله : [والثانية : قوله تعالى : (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة)] .

هذه هى الجهة الثانية من دلالات الآية على أن الله لم يستثن إلا المكرهـ وقلبه مطئن بالإيمان .

قوله " ذلك " : الإشارة قال العلماء : راجعه إما إلى الكفر وإما إلى العذاب , يعنى المعنى " ذلك " : أى أنهم استحقوا أن يكونوا كفاراً أو استحقوا العذاب [بأنهم] : الباء هنا للسببيه ـــ أى بسبب أنهم استحبوا الحياة الدنيا عل الآخرة , فهم رضوا بالكفر وفعلوهـ لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة . والشيخ هنا جمع بين الأمرين .

قال رحمه الله : (فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الإعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة للكفر , وإنما سببه أن له فى ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثرهـ على الدين) .

وبذلك يكون كافراً . ومراد الشيخ أن يقول لهؤلاء الذين ابتلاهـ الله بهم ممن لم يقوموا لله بأمرهـ :

أنهم ليسوا على شئ وأنهم والذين يجارونهم سواء , فإنه ما من إنسان يكفر وإلا له سبب يكفر به , فهؤلاء بين الله أن سبب كفرهم أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وهنا عين ماهم واقعون فيه .

هذه الخاتمة تبين لك شناعة ما عليه الكثير من الناس . أحياناً بعضهم إذا رأك وأنت تقص ثوبك وتعفى لحيتك يدعوا أمامك غير الله فإن أنكرت عليه يقول لك أريد أن أمزح معك , أو أنا أعرف العقيدة . هذا حكمه أنه كافر .

الإكراهـ :

تعريفه : هو إجبار الإنسان غيــرهـ على قول أوفعل لا يرضاهـ بحيث لو ترك ونفسه لم يفعله ولم يباشرهـ .

والإكراهـ قسمان :

1ــ الإكراهـ الملجى : هو التهديد بإتلاف نفسٍ أو عضوٍ بحيث لا يمكن للمكرهـ الصبر عليه , وهذا يعذر فيه .

2ــ الإكراهـ غير الملجى : هو التهديد بما لا إتلاف فيه , كأن تهدد بالحبس أو الضرب الذى لا يؤدى إلى تلف ولا تفقد معه عضواً من أعضائك ويمكن للمكرهـ أن يصبر عليه . فهذا لا يعذر فيه الإنسان .

الإكراهـ له شروط من أبرزها :

1/ أن يكون المُكِرهـ قادر على تنفيذ ما هدد به .

2/ أن يغلب على ظن المُكْرهـ وقوع ما هُدِدَ به إذا لم يمتثل . غلبة الظن تعرف من شدة عزيمة المُكرِهـ أو أن تعرف من غيرهـ كأن قد هدد غيرك بهذا فلما لم يمتثل نفذ فيه ما هدد به .

3/ أن يكون المهدد به أو المتوعد به مما يشق على المُكْره تحمله .

إذا انطبقت هذه الشروط صح الإكراهـ إذا واقع كفراً .

قال رحمه الله : (والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم) .

ختم رحمه الله ــ هذه الرسالة برد العلم إلى الله تبارك وتعالى , وبالصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم . وقد مضى الكلام على الصلاة والسلام على النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

" من جهل أنصار الســـنة – [أنصار الـــــبـــدعـــــة] :

أن يوسف الكودة كان له برنامج اسمه " روح وريحان " وفى البرنامج يأتي برجل يقسم بغير الله أو يدعو غير الله ثم يأتيه رجل آخر فيقول له هذا لا يجوز لأن الله يقول كذا وكذا ..... , فيقتنع ذلك الرجل بهذه النصيحة ويعمل بها , ويظن أن هذا من الدعوة ! وما درى هذا المسكين أن هذا الذى جئ به وتكلم الكفر أن هذا لا يجوز " .

إنتهى الشرح ولله الحمد

آخر رمضان 1430هـ